تفريغ الفصل [١] من سلسلة الحاكمية

بعنوان:

نبذة تاريخية
عن الحكم بغير ما أنزل اللَّه
في البشرية عامة وفي المسلمين خاصة

للشيخ

أبي عبد اللَّه المهاجر

التحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤ م

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:

تفريغ الفصل الأول من السلسلة الصوتية" الحاكمية":

بعنوان:

نبذة تاريخية عن الحكم بغير ما أنزل الله

في البشرية عامة وفي المسلمين خاصة

للشيخ:

أبي عبد الله المهاجر

–حفظه الله–

تم نشر هذا التفريغ في:

ربيع الآخر 1436 – فبراير 2015م

مقدمة التفريغ:-

فيسرنا في مؤسسة التحايا للإعلام، أن نقدم لكم هذا التفريغ، لسلسلة الحاكمية للشيخ أبي عبد الله المهاجر، المصري عبد الرحمن العلي؛ والشيخ غني عن التعريف، هو من علماء الثغور، ومن كبار علماء التيار الجهادي، جاهد في الجهاد الأفغاني الأول؛ ثم بعد الفتنة بين الأحزاب الأفغانية، توجّه نحو باكستان لطلب العلم؛ فدرس فى الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، وحصل على الماجستير فى الشريعة؛ ولكنه لم يتمكن من إكمال الدكتوراه، بسبب مطاردة السلطات الباكستانية له، فتوجّه نحو أفغانستان.

وهناك افتتح معهد شرعي، في خوست في معسكر خلدن؛ الذي كان يقوده ابن الشيخ الليبي، وأصبح المسؤول الشرعي للمعسكر؛ ثم درّس في المعهد الشرعي، الذي افتتحه الشيخ الإمام أسامة بن لادن –تقبله الله– في قندهار؛ والذي كان يديره الشيخ أبو حفص الموريتاني، واستفاد منه الشيخ الزرقاوي علميًا؛ وكذلك استقدمه في تنظيم دورات علمية، في معسكره في هيرات.

يقول الشيخ الشهيد أبي مصعب الزرقاوي – تقبله الله –: "التقيت بالشيخ أبي عبد الله المهاجر، وجرى حديثٌ بيننا في حكم العمليات الاستشهادية، وكان الشيخ يذهب إلى جوازها، وقرأت له بحثًا نفيسًا في هذه المسألة، وسمعت له أشرطة مسجلة في ذلك، فشرح الله صدري لما ذهب إليه، ولم أتبنَّ جوازها فقط؛ بل بتُّ أرى استحبابها، وهذا والله من بركة العلم ولقاء أهله".

ويقول الشيخ محمد وائل حلواني "ميسرة الغريب"، عضو اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين آنذاك، في رسالته «الزرقاوي كما عرفته»: "كان شيخنا الزرقاوي يُحب شيخه أبا عبدالله المهاجر، ويُجِلُّه ويثني عليه، ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق؛ وكانت قرائنُ الحال تَدُلُّ أنه لو أتى، لأوكلت إليه مسؤولية الهيئة الشرعية، وذكر لي أنه درس عند الشيخ المهاجر أربع سنوات".

بعد أحداث سبتمبر 2001م، دخل الشيخ إيران مع من دخل، حيث قدّر الله أن تعتقلته السلطان الإيرانية؛ والشيخ هو صاحب كتاب "مسائل من فقه الجهاد"، وكتاب "أعلام السنة المنشورة، في صفات الطائفة المنصورة"، وهما سفران ضخمان؛ ورغم مكانة الشيخ العلمية الكبيرة، إلّا إنه ليس كثير المؤلفات، ولكن كان له نشاط في التدريس، وتنظيم الدورات العلمية؛ وهو ما يجعل لتفريغ دروس الشيخ، وسلاسله العلمية أهمية كبيرة.

ونظرًا لضخامة هذه السلسلة "الحاكمية"، التي تتكون من 43 ملف (الملف رقم 23 مفقود من المصدر)، أي أكثر من 40 ساعة؛ فقد رأينا أن نقوم بنشر تفريغها، مقسمًا على شكل فصول، ثم نقوم بجمعها لاحقًا في مجلدٍ واحد؛ مع العلم أننا نعطي حقوق النشر، والاستفادة من هذا التفريغ، لأي مسلم أو مؤسسة إعلامية؛ تلتزم بإكمال تفريغ السلسة، والاعتناء بها ونشرها في مجلد واحد، وذلك بعد أن تراجعنا، حتى نعلمه/ا بما تم تفريغه.

كما أننا نفتح الباب، أمام أي مؤسسة إعلامية، تريد المشاركة والتعاون معنا في هذا التفريغ. وقد قام الشيخ بتقسيم السلسلة، كما بيّن في مقدمته، إلى 4 مفردات، كما هو مبين أدناه؛ ولعلنا نقوم بتقسيم هذه المفردات، إلى فصول أصغر حسب ما يتيسر.

1-نبذة عن تاريخ الحكم بغير ما أنزل الله

2-منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الدين

منزلة الحكم بما أنزل الله في توحيد الربوبية

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الألوهية،

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الأسماء الصفات.

منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الإيمان

3-نتكلم عن مناطات الكفر في الحكم بغير ما أنزل الله:-

المناط الأول هو عملية التشريع

المناط الثاني تطبيق هذا التشريع في واقع الناس

المناط الثالث هو عدم الحكم بما أنزل الله

-تأويل قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرين)

سبب النزول

صفة فعل أهل الكتاب والتطابق التام بين تلك الصورة التي أنزلت من أجلها هذه الآيات وبين واقعنا المعاصر

الكفر المذكور في الآية هل هو الكفر الأكبر أم الكفر الأصغر

أثر ابن عباس (كفر دون كفر).

4- إجماع العلماء القدامى والمعاصرين من شرّع ولو تشريعًا واحدًا مخالف لشرع الله.

وهذا هو الفصل الأول من تفريغنا، وهو بعنوان "نبذة تاريخية عن الحكم بغير ما أنزل الله، في البشرية عامة وفي المسلمين خاصّة"، و يشمل الملف الثاني والملف الثالث والمف الرابع حتى الدقيقة 9 تقريبًا.

سياسة التفريغ:-

لم نلتزم في هذا العمل التفريغ الحرفي، لأنه يجعل المادة المكتوبة صعبة الفهم؛ فقمنا بتعديلات بسيطة، كتقديم وتأخير، أو حذف كلمة، أو إعادة صياغة جملة؛ دون أن نعطي لأنفسنا الحق في زيادة معنى لم يقله الشيخ أو حذف معنى قاله الشيخ؛ فالغرض جعل الكلام بأسلوب الكتابة، بأوضح ما يكون دون تكلف.

وأغلب هذه التعديلات تكون عندما ينقل الشيخ كلامًا؛ فهو يقف عند كل جملة أو كل كلمة، ليشرح ويستطرد حتى يختلط أحيانًا كلامه بالكلام المنقول؛ فقمنا بجمع الكلام المنقول مفصولًا، وجعلناه بين قوسين "..." ثم أدرجنا شرح الشيخ بعده، والتزمنا في الغالب بوضع علامة (...) لدلالة على الحذف أو الكلام غير الواضح، وبالتظليل باللون الرصاصي للدلالة على الزيادة؛ وحذفنا بعض الشرح الذي لا يصلح في أسلوب الكتابة.

وكذلك قمنا بدمج الدروس المتعلقة بموضوع واحد، مثلًا الفصل الأول (نبذة تاريخية عن موضوع الحكم بغير ما أنزل الله) تمت في جلستين، فقمنا بحذف مقدمة الجلسة الثانية وجعلها كملخص في نهاية الفصل.

مقدمة السلسلة:-

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدِ، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون)[1].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[2].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[3].

ثم أما بعد:-

موضوع الحاكمية له من الأهمية الشيء الكثير، فلا نبالغ -كما سيأتي معنا - إذا قلنا أن الحاكمية هي الدين، وأن الترجمة العملية للدين هو الحاكمية؛ ونحن - إن شاء الله - في درسنا عن الحاكمية، سنتعرض لبعض المفردات؛ مفردات البحث:

أولى هذه المفردات: نبذة عن تاريخ الحكم بغير ما أنزل الله: نتكلم في عن تاريخ هذه البدعة الفكرية في تاريخ البشرية قاطبةً، وفي تاريخ الإسلام خاصةً.

ثانياً: سنتكلم عن منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الدين؛ وفيه نتكلم عن منزلة الحكم بما أنزل الله في توحيد الربوبية، وكذلك نتكلم عن منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الألوهية، وثالثاً: سنتكل عن منزلة الحكم بغير ما أنزل الله في توحيد الأسماء الصفات، ثم نختم هذا المبحث عن منزلة الحكم بغير ما أنزل الله من الإيمان ككل.

ثالثاً: نتكلم عن مناطات الحكم بغير ما أنزل الله؛ وسنجد أن في هذه العملية ثلاثة مناطات في التكفير؛ المناط الأول: هو عملية التشريع نفسها، والمناط الثاني: تطبيق هذا التشريع في واقع الناس، والمناط الثالث: هو عدم الحكم بما

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 102.

[2] سورة النساء، الآية: 1.

[3] سورة الأحزاب، الآيات: 70-71.

أنزل الله، فهناك فرق بين الحكم بغير ما أنزل الله، وبين عدم الحكم بما أنزل الله؛ وعلى التحقيق لابد أن نبدأ بهذا المناط الثالث الذي أخرناه، وهو المقصود بقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)، ولو أردنا التقسيم الصحيح فلابد أن نبدأ بهذا المناط، إلا أننا أخرناه لأنه يتعلق بأبحاث كثيرة، لابد أن نستوفيها حتى يتضح الموضوع.

ففي ظل هذه الأسباب المتعلقة بالمناط الثالث، أي المتعلقة بتأويل قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[4]
سنتكلم أولاً عن سبب النزول.

ثم نتكلم عن صفة فعل أهل الكتاب؛ والتطابق التام بين تلك الصورة التي أنزلت من أجلها هذه الآيات، وبين واقعنا المعاصر.

ثم سنتكلم في النقطة الثالثة في ظل هذه الآيات عن الكفر المذكور في هذه الآية: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)، هل هو الكفر الأكبر أم الكفر الأصغر؟ وسنجد أن فيها فتاوى واضحة لكبار العلماء والمشائخ، تنص صراحة أن الكفر المذكور في الآية هو الكفر الأكبر.

كذلك سنتكلم عن تلك الشبهة الشهيرة، والتي تستحق الوقوف معها وهي قول ابن عباس – رضي الله عنه – (كفر دون كفر).

وسنتكلم عن هذا الأثر من ناحيتين؛ من ناحية السند ومن ناحية المتن.
وكذلك سنتكلم عن بعض الآثار المشابهة لأثر ابن عباس – رضي الله عنه – سنداً ومتنًا.
ثم سنتكلم عن التوجيه الصحيح الذي أراده ابن عباس – رضي الله عنه – على فرض صحة الأثر.
ثم سنتكلم بعد ذلك عن جملة من أقوال العلماء القدامى والمعاصرين – وهي كثيرة جدًا – عن حكم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وسنجد أمرًا عجيبًا؛ سنجد اتفاق تام بين العلماء القدامى والمعاصرين، على أن كل من

---

[4] سورة المائدة، الآية: **44**.

شرّع ولو تشريعًا واحدًا، ولو قضية مفردة ولكن شرعه، وجعل هذا الشرع قانوناً عامًا مستقراً يحكم ويتحاكم إليه الناس؛ فهو كافر كفرًا أكبر مخرج من الملة؛ جميع العلماء بلا إستثناء، فما وجدت عالم في القديم ولا في الحديث من الذين تكلموا في هذه المسألة قال غير هذا القول، وهذه النقطة تكفي لحسم هذه القضية، فليس هناك عالم واحد بلا استثناء وعلى رأسهم الشيخين ابن باز وابن عثيمين، بل الشيخ ابن عثيمين له فتوى صريحة، ولو في قضية مفردة شرَع فيها شرعاً غير ما أنزله الله وسنّه الرسول – عليه الصلاة والسلام – فهو كافرٌ كفر أكبر، وغيره كلام كثير للمعاصرين. ثم نختم بنقل الإجماع على كفر من حكم بغير ما أنزل الله، وهذا الإجماع نقله لنا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير ونقله من المعاصرين بعض العلماء.

ثم نتكلم بعد ذلك على آثار الحكم بغير ما أنزل الله في واقعنا المعاصر أي في سياق المسلمين.

نبذة تاريخية عن الحكم بغير ما أنزل الله

مقدمة

في الحقيقة هذه القضية، تمثل محور الصراع بين الكفر والإيمان، فنحن قررنا من قبل، ورأينا معًا كما تكلمنا في باب الإيمان؛ أن الصراع لم يكن أبدًا حول قضية إثبات وجود الله – سبحانه وتعالى –، فلم يكن أبدًا حول توحيد الربوبية؛ وإنما كان في الأساس حول توحيد الألوهية، والترجمة العملية لتوحيد الألوهية، هو الخضوع للأمر والنهي، وكلمة الأمر والنهي هي مجمل موضوع الحاكمية؛ (..) فالمعنى الشرعي للحاكمية: أن تخضع عمليًا لأمر الله سبحانه وتعالى ونهيه، وبالمقابل فإن معنى الحكم بغير ما أنزل الله: أن تخضع عمليًا لأمر غير الله ونهيه أيًا كان هذا الغير؛ كان طاغوتاً بشرياً أو حجرياً، صنما، حجراً، كوكبًا، إلى شتى الأنواع، وإلى شتى الأسباب، وإلى شتّى صور الآلهة التي عُبُدت من دون الله، على مدى التاريخ البشري.

إذًا حقيقة الصراع بين الكفر والإيمان، إنما كان حول موضوع الحاكمية على التحقيق، وليس الصحيح في معنى الحاكمية، قصرها في جانب معين؛ الحاكمية تتحكم في حياة الإنسان منذ ولادته، بل قبل أن يولد وهو بطن أمه، إلى أن يقف بين يدي الله عز وجل؛ لا تختص بجانب معين كالجانب السياسي أو الجانب الإجتماعي، تلك التقسيمات التي تروها اليوم؛ الحاكمية كل شيء، الحاكمية: هي أن تجعل الله – سبحانه وتعالى – هو المتحكم في حياتك كلها، في عباداتك وفي تعاملاتك، وفي سائر حياتك، أن تجعل الله هو الحكم في المسجد وفي خارج المسجد.

والآية فيها شيء محذوف، فيها كلمة مقدّرة (كان الناس أمة واحدة) "فاختلفوا" (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب)؛ ليرفع هذا الخلاف الذي حدث بين الناس، (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ).

يقول ابن عباس – رضي الله عنه – في الأثر المشهور، الذي أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، وذكره ابن كثير في تفسير في المجلد الثالث ص 250؛ قال ابن عباس – رضي الله عنه –: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)، إذًا منذ أن أهبط آدم – عليه وعلى نبينا الصلاة

والسلام – إلى نوح – عليه السلام –، كان الناس على شريعةٍ من الحق؛ وكلمة شريعة فيها دلالة على أمرين، على العقيدة وعلى الأحكام، على الأصول وعلى الفروع.

فالناس منذ آدم إلى نوح عشرة قرون، كانوا على أمرٍ واحد، بصورة مختصرة كانوا على دين الله الحق؛ عقيدةً وشريعةً، ثم حدث الاختلاف بينهم، وحصلت القصة المشهورة بعبادة الأصنام، وعبادة الأصنام هي الصورة الأولى، لجعل الحاكمية لغير الله، (...) هذه المسيرة التي حرفت عقيدة وشريعة، فهل هذه الكتب أنزلت، حتى تحكم فقط، ما يسمونه بالجانب الروحي والجانب التعبدي؟ (...) لا والله بل إنها قبل أن تصرح بالعقيدة صرحت بالشريعة، فالرسل أرسلت بجنس الكتب؛ التوراة، والإنجيل، والفرقان، الزبور، وآخرها القرآن؛ ليحكموا حياة الناس قاطبةً؛ عقيدةً وشريعةً، جوانب تعبدية أو جوانب روحية، وجوانب سياسية، وجوانب إجتماعية، وجوانب إقتصادية؛ فلا بد أنت تخضع لله – سبحانه وتعالى – في كل مناحي الحياة؛ ولذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وقامت سوق الجنَّة والنار، وانقسم الناس إلى فريقين؛ كل هذا من أجل موضوع الحاكمية، هناك طوائف أو طواغيت تنازع الله في أخص خصائصه، وبالمقابل هناك دعاة أو رسل أو أنبياء، يحاولوا أن يردّوا الناس لدينهم الحق، فنشأ بينهم الصراع.

والعداوة بين المسلمين والكافرين، عداوة قدرية لا تنتهي؛ ولابد من أحدهما، فهو لا يتركُك وأنت لا تتركه، حتى إذا ظننت أنت، أن بوسعك أن تتكره فهو لن يتركك؛ وهذه النقطة سنتكلم عليها – إن شاء الله – في درس الولاء والبراء، ضع هذا الأمر في رأسك؛ إذا ظننت أن بوسعك أنت تتجنب الصراع فأنت واهم، إذا تجنبته أنت فهو لن يتجنبك ولن يتركك.

نقول: منذ حدوث هذا الاختلاف على الأرض؛ انقسم الناس في موضوع الحاكمية إلى طريقين؛ طريق الأنبياء والرسل واتباعهم، وطريق اتباع الطواغيت؛ أيًا كان هؤلاء الطواغيت؛ بشرًا، أصنامًا، وثنًا، حجارةً، كواكبًا، إلى غير هذه الأمور، التي عبدت من دون الله.

سنتكلم عن الفريق الأول بشيء من الإيجاز، لأنه ليس موضوعنا؛ نقول: أرسل الله – سبحانه وتعالى – الأنبياء الرسل ليدعوا لعبادة الله؛ عبادة الحق، عقيدةً وشريعةً، كما قال الله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[5]؛

[5] سورة المائدة، الآية: 48.

شرعة: أي تشريع وتنظيم لسائر مناحي الحياة، كذلك أخبرنا المولى – سبحانه وتعالى – عن التوراة، بأنه يحكم بها الأنبياء، فقال: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا)[6] فقال عن التوراة أنها أنزلها لتحكم بين الناس.

وكذلك يخبرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن بني إسرائيل فيقول: (كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي بعث الله نبيًا)[7]، قال تسوسهم فاستخدم مصطلح السياسة؛ هذا المصطلح المستخدم الآن رغم أن هؤلاء المعاصرون:

يسوسون الأمور بغير عقل * فينفذ أمرهم ويقال ساسوا

المهم أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "تسوسهم"، فهل كلمة "تسوسهم" تختص بالجوانب التعبدية والجوانب الروحية فقط؟ بل تشمل كل مناح الحياة؛ تعبداً، والمناحي الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية.

فهذا الصنف – الفريق الذي إتبع حكم الله في الأرض – كان على ضربين؛ أحيانًا كان عملية التحكيم يمارسها الأنبياء والرسل، ومن هؤلاء الأنبياء، الذين جمع الله لهم بين الملك والسياسة؛ سليمان وقبله داوود – عليهما السلام – ، كما قال تعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ)[8] فبنص الآية، داوود وسليمان – عليهما الصلاة والسلام – كانوا من أنبياء الله، بل كانوا من الرسل، فجمعوا بين الملك والنبوة، أو بين الملك والرسالة؛ فكانا – عليها السلام – ينفذان حكم الله في عباده وفي خلقه، بالإضافة لكونهما أنبياء ورسل، فهذا النوع الأول؛ الأنبياء والرسل كانوا يقومون بعملية التحكيم، ومن هذا النوع نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، الذي ختم الله به الرسالة.

الصنف الآخر: ملوك كانوا على شريعة الحق، وعلى دين الأنبياء والمرسلين؛ ملوك كانوا ءامنوا بالدعوة، وصاروا من جندها، وأخذوا هذه الشريعة الحقَّة، وطبقوها في قومهم وأراضيهم؛ وهم كثيرون جدًا، ومن ضمن هؤلاء الملوك، الذين ذكرهم الله في القرآن؛ طالوت الذي ذكره الله في سورة البقرة، وطالوت كان معاصرًا لجمع من الأنبياء، أشهرهم

---

[6] سورة المائدة، الآية: **44**.

[7] صحيح البخاري (**3455**)، وصحيح مسلم (**1842**).

[8] سورة الأنبياء، الآية: **78**.

داوود – عليه السلام –، ومن قبل داوود شمويل المذكور في التوراة، وذكره ابن كثير في تفسيره في قصة طالوت وجالوت؛ فطالوت ءاتاه الله الملك، وكان يحكم بشريعة الأنبياء الذين عاصرهم.

وكذلك من ضمنهم ذو القرنين، الذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف، وذو القرنين – كما ذكر المفسرون – كان يحكم بشريعة النبي الذي كان قبله؛ فهو لم يكن نبي، بل كان مَلِكًا صالحًا، فكان يحكم بشريعة الله تعالى؛ ثم خلف خلوف وتغيرت الأحوال؛ ننتقل للفريق الثاني وهو الذي يهمنا؛ هو الفريق الذي اتبع حكمًا غير حكم الله تعالى في الأرض.

مراحل الحكم بغير ما أنزل الله في التاريخ البشري:

إذا أردنا أن نقسم موضوع الحكم بغير ما أنزل الله إلى مراحل؛ نقسمها إلى ثلاث فصول، أعني في التاريخ البشري، ومن جملة التاريخ البشري تاريخ المسلمين؛ فهم جزء من التاريخ البشري بل أمة مبتعثة للبشر كافة كما قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[9] نحن أمة ابتعثها الله شئنا أم أبينا، فأقول نستطيع أن نقسم، مراحل الحكم بغير ما أنزل الله، إلى ثلاث مراحل:

1. مرحلة في العصر القديم
2. ومرحلة في العصر الوسيط
3. ومرحلة في العصر الحديث

ونحن نقصد هنا ونركز على الجانب التدويني، أي الجانب المكتوب؛ متى بدأت عملية صياغة قوانين بغير ما أنزل الله محادةً لله ورسله؟

أولا: العصر القديم:

العصر القديم كما هو معروف عندكم، كان يتميز بنوع من البدائية، كانت تلك الأمم أمم بدائية؛ وكانت القوانين السائدة بينهم، هي الأعراف والعادات وأقوال شيوخ القبائل. وكلمة وضعية في "القوانين الوضعية"، تعني أنها

---

[9] سورة آل عمران، الآية: **110**.

من وضع البشر؛ وبعض المستشرقين المعاصرين يستخدم هذا المصطلح، وهي تختلف طبعًا عن الحكم الوضعي عند الأصوليين.

أقول للأسف ما زالت هذه الأعراف والعادات، وأقوال شيوخ القبائل ما زالت موجودة إلى يومنا هذا؛ وخاصةً في مناطق البدو، في الجزيرة وفي اليمن، وللشيخ حمد بن عتيق فتوى في بدو زمانهم؛ وتكلم عن هذه المسألة أيضًا الشيخ سفر الحوالي، فتكلم عن البدو في الجزيرة، الذين يحكمون تلك العادات والتقاليد، ويجعلونها حكمًا دون الكتاب والسنة.

ومن أشهر تلك التشريعات القديمة، تلك التشريعات المدونة، التي وجدت منقوشة على بعض الحفريات، وتنسب لـ"حمورابي"؛ وحمورابي هذا كان ملكًا آشوريًا، والذي قرأ تاريخ التشريع الوضعي أو تاريخ القانون، يعلم أنهم يقولون أن هذه أول تشريعات مدونة عرفها البشر. (..) وهذا كلام مردود فأول تشريعات عرفها البشر، هي كتب الله – سبحانه وتعالى–؛ والذي يرد ذلك من العلمانيين، يكذبون بالحقائق الواضحة؛ أول تشريعات عرفها البشر لمدة عشرة قرون، كانت تشريعات الله – سبحانه وتعالى –، التي أنزلها على لسان رسله؛ واستمرت لمدة عشرة قرون، فعشرة قرون وهذه الأرض، لا تحكم بشرع غير شرع الله.

فمن أين القول أن تلك التشريعات – تشريعات حمورابي –، هي أول تشريعات عرفها البشر؛ هذه محادّاة واضحة، وهذا معروف عنهم، فطريقة العلمانيين تزييف وتزوير الحقائق، ولنا حديث طويل عن العلمانيين في الدروس القادمة إن شاء الله تعالى.

نقول: تلك التشريعات التي نسبت لحمورابي، هي تشريعات وضعت ودوّنت محادّةً لتشريع الله في أرضه.

ثانيًا: العصر الوسيط:

ننتقل للعصر الوسيط، في العصر الوسيط ظهرت تشريعات مدونة أيضًا؛ في ظل الدولة التي كانت تحكم العالم، في ذلك الوقت وهي الامبراطورية الرومانية، فالامبراطورية الرومانية كانت هي المسيطرة في العصر الوسيط، كما ذكرنا أن قسطنطين تنصر في سنة 325م.

في العصر الوسيط كانت أولى التشريعات الوضعية، التي ظهرت في الدنيا؛ هي التشريعات التي وضعتها الامبراطورية الرومانية، أو الامبراطورية البيزنطية؛ ووضعت هذه التشريعات، على يد أشهر ملوك الامبراطورية، في تلك الفترة، وهو الملك البيزنطي المشهور "جستنيان"؛ الذي بلغت في عهده الامبراطورية الرومانية أوج عظمتها، حتى أن "مايكل هارت" صاحب كتاب "العظماء المئة"، جعله من عظماء العالم بأسره.

وهنا سؤال؛ "جستنيان" ظهر في أواخر القرن السابع الميلادي، والبعض يقولون (في أوائل القرن السادس الميلادي، أو في أواخر القرن السابع الميلادي)، وهنا انتبه؛ هذه الفترة حدث فيها، أهم حدث في تاريخ البشرية قاطبةً؛ فهذه الفترة شهدت ميلاد النبي –عليه الصلاة والسلام – وليس بعثته؛ فالنبي – عليه الصلاة والسلام – على رأي بعض المؤرخين ولد سنة 751م، فهي الفترة التي كان يعيش فيها "جستنيان"؛ ف"جستنيان" كان معاصر لميلاد النبي – عليه الصلاة والسلام –، وكان معاصر لفترة من حياة النبي –عليه الصلاة والسلام – قبل بعثته. هذه مسألة جانبية.

فلو سألنا سؤال؛ "جستنيان" في الأصل على أي شريعة؟ هو نصراني، فالامبراطورية الرومانية بدأت تدخل في النصرانية منذ قسطنطين؛ فيفترض فيه أن يحكم بشريعة الإنجيل، فوجدناه عدل عن الإنجيل، ووضع قانونًا من عنده، الذي عرف بالقانون الروماني؛ ولو قرأت أقوال المؤرخين المعاصرين، ستجد أنهم يكتبون في القانون الروماني، من التمجيد والتقديس ما لم يذكروا ولو 1% منه في القرآن، يقدسونه تقديسًا والله ما ذكروا 0.1% منه في القرآن الكريم، وفي سنة نبينا عليه الصلاة والصلام؛ رغم ما فيه من تحريفات وما فيه من جورٍ وظلمٍ وتعدِّي.

بل افترى بعضهم وقال – وبئس ما قال –: "أن الشريعة الإسلامية مستمدّة في غالبها من القانون الروماني"، والله قالوا هكذا وصرّح بها كثير منهم!؛ ولمن يقرأ في كتب التشريع الإسلامي، يجد أن بعض المفكرين المعاصرين، يعقد

بابًا لمناقشة هذه الشبهات! رغم أنها والله لا تحتاج إلى مناقشة؛ فيفرد فصل للرد على هذه الشبهات؛ هل استمدت الشريعة الإسلامية بالفعل من القانون الوضعي؟ ويرجع إلى كثير من الكتب والأدلة.

فنقول: بالأصل كان يفترض على "جستنيان" أن يحكم الإنجيل، فلماذا عدل "جستنيان" عن الحكم بالإنجيل، إلى وضع قوانين تشريعية وضعية من عنده؟ أولًا: الذي يرجع إلى قصة التحريف التي ذكرناها، عندما كنّا نتكلم عن بولس وعن دوره التخريبي، هو ومن جاء بعده في هدم العقيدة؛ وفي هدم الديانة النصرانية، وبالفعل كان من جملة ما هدمه، التشريعات التي ذكرت في الإنجيل.

بدايةً نقول هل الإنجيل كان كتابًا تشريعيًا؟

الإنجيل كان في أكثره مواعظ، كما ذكر علماؤنا كشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وعلى نهجه ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)؛ أن أكثر الإنجيل كان مواعظ؛ وهذا يتوافق مع المهمة، التي بعث من أجلها عيسى – عيه السلام –؛ فعيسى بعث خاصّةً، حتى ينقذ اليهود من تلك الحمأة، التي كانوا قد وقعوا فيها، وهي حمأة المادّيّة.

كانوا قومًا بلغوا من المادّيّة الشيء الكثير، فأُرسِل لهم خاصَّةً، حتى يرفع هذه الماديّة؛ ولذلك غلب على الإنجيل الجانب الوعظي، الذي يتعلق بأعمال القلوب والرقائق الأعمال التعبدية؛ ورغم ذلك كان فيه أحكام قليلة، من ضمنها تلك التي أشار إليها القرآن الكريم، في قوله تعالى: (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)[10] فكانت هناك أمور حرمها الله على بني إسرائيل وفقًا لعنادهم وإصرارهم وتلك النفسية الخبيثة فجاء الإنجيل وأحلها لهم.

ونقول: من ضمن هذه الأمور، أن الله – سبحانه وتعالى – أنزل في الإنجيل، تعديلاً لبعض التشريعات التي كانت في التوراة؛ فأحلّ لهم بعض الأمور، التي كانت حرمت عليهم، إلا أن هذه الأمور جملةً أمور قليلة؛ لذلك كانت الكنيسة الرومانية قبل "جستنيان"، عندما يريدون أن يتحاكموا لأمر ما، أو ينظموا قضيةً ما؛ كانوا في الغالب يرجعون إلى التوراة لا الإنجيل؛ لأن التوراة في الأصل كانت كتابًا تشريعيًا، بالإضافة إلى أنه كتاب عقديًا، فكانوا يرجعون في مصادرهم الأصلية، لتقنين ووضع الأحكام، وتنظيم أوضاع الناس؛ يرجعون إلى التوراة.

---

[10] سورة آل عمران، الآية: **50**.

الناظر إلى التوراة والإنجيل، يرى أنهما لا يصلحان بأي حال من الأحوال، لتنظيم أمور الناس كافة؛ لأمرين، الأمر الأول: أن التوراة والأنجيل لم تنزل للناس عامّةً، بل لبني إسرائيل فهي خاصة؛ فالله – سبحانه وتعالى – لم يودع فيهما كل الأحكام، التي يحتاج إليها البشر، بل وضع فيها الأحكام الخاصة ببني إسرائيل؛ فكيف لعاقل أن يأخذ كتاب لقومٍ خاصِّين، ثم يريد أن يعممها على الناس كافة، هل هذا الكتاب سيأتي بحاجات الناس كافة؟

مستحيل، لأن الله – سبحانه وتعالى – أنزله لبني إسرائيل خاصة؛ فإذا انضاف لذلك ذلك التحريف والتزوير والتبديل الحادث، الذي حصل في التوراة والإنجيل، فهل يبقى بعد ذلك أي صلاحية لحكم الناس؟ بل ولا يفي بحكم بني إسرائيل أنفسهم، بعد التحريف والتبديل.

فأول مسألة: أنه كتاب خاص لأقوام خاصّين، فجاء الرومان وأرادوا أن يجعلوه للناس كافة؛ ونحن قلنا أن الدعوة النصرانية، منذ بولس إلى يومنا هذا، دخل فيها أكثر الأقوام إلا من رحم ربّي؛ فدخل فيها اليونانيين الرومانيين والآشوريين، والفينقيون وعدد كبير من الناس؛ فهذه الأحكام التي وردت في التوراة والإنجيل، لا تصلح أن تطبق على الناس كافة؛ المسألة الثانية: التحريف الذي حصل فزاد الطين بلّة.

وهناك أمر ثالث، وهو أن الله – سبحانه وتعالى – أنزل التوراة والإنجيل، وجعلهما شريعة مؤقتة؛ فالتوراة والإنجيل إذا سلمنا جدلاً، أن فيهما تشريع للناس كافّة؛ فهل هذا التشريع مطلق أم مقيد؟ هذا التشريع مقيَّد بوقت مخصوص، ينتهي ببعثته – عليه الصلاة والسلام –؛ فالله – سبحانه وتعالى – كان يعرف أن هناك نبي خاتم، ولذلك أنزل هذه التشريعات، أعني التوراة والإنجيل، بهدف مخصوص لأناس مخصوصين بزمن مخصوص؛ وهذا الزمن انتهى ببعثته – عليه السلام – وهو الخاتم، ودينه ناسخ لكافة الشرائع السابقة، بالإضافة للتحريف الذي قام به اليهود والنصارى فمثلًا في التوراة "لا تأكل الربا"، ولكن اليهود أضافوا إليها زيادة، فقالوا: "لا تأكل الربا من أخيك اليهودي"؛ فبمفهوم المخالفة يعني كُلْ الربا من غير اليهودي، فأضافوا "من غير اليهودي" وهكذا؛ فحرفوا كتاب الله، الذي أنزل إليهم، وظل الربا محرم في أوربا، حتى الثورة الفرنسية؛ بل كان البابوات في هذه الفترة، ينزلون أقصى العقوبات، على كل من يثبت أنه مارس الربا؛ حتى جاء اليهود، وأحدثوا الثورة الفرنسية، التي سنتحدث عنها الآن، فقاموا بثورتهم وقضوا على سيطرة الكنيسة.

نقول: لهذه الأسباب وجدَ حكَّام الرومان، أن التوراة والإنجيل لا يصلحان للحكم؛ فدفعهما هذا لصياغة قوانين من عند أنفسهم، ليحكوا بها الناس؛ وهو ما فعله الامبراطور الروماني "جستنيان"، وصار كل من يأتي بعد "جستنيان"، يضيف أو يعدل أو يبدل في القانون الرومان وفقًا لإحتياجاته؛ فنحيت التوراة، ونحي الكتاب المقدس، بشقّيه التوراة والإنجيل عن الحكم؛ ونقول: حتى لو أنهم طبقوا التوراة والإنجيل، فهذا لا يطلق عليه حكم الله في الأرض؛ لأنه محرف ومبدل، فهي تشريعات أكثرها من صنع أحبار وحاخامات اليهود.

ثالثًا: العصر الحديث:-

ننتقل للعصر الحديث وهذا الذي يهمنا.

في العصر الحديث – في أوربا خاصةً – ظلت الكنيسة النصرانية هي المهيمنة على حياة الناس، بالقانون الروماني وبغيره؛ بل إذا أردنا الإنصاف، كان كل قسيس يمارس ما يشتهيه من آراء ومن أهواء، فرضًا وجبرًا، على الأفراد وعلى الاتباع؛ بل وصلوا إلى مرحلة من النفوذ ومن الهيمنة، التي كانت فيها ملوك أوربا بأسرهم يستجدون عطف الكنيسة النصرانية.

وحصلت عدة حوادث مشهورة، في التاريخ الأوربي في العصر الحديث، قبل ما يسمونه بعصر النور، وقبل الثورة الفرنسية وقبل الثورة الأمريكية؛ حصلت أكثر من مرة أن البابا كان ينزع البركة من حكام أوربا؛ كما فعل مع هنري الرابع عشر، فذهب له حافي القدمين وسار من القصر إلى باب الكنيسة، وظل يبكي حتى أعاد له البابا البركة؛ فهذه إشارات تبين لك إلى مدى السيطرة ومدى الهيمنة التي وصلت إليها الكنيسة؛ فالكنيسة كانت بالفعل بعبع لكل من عاش في أوربا خاصة العلماء، وحصلت أكثر من مرة أن أفتت الكنيسة بشنق وحرق، عالم من علماء الفلك المشهورين في تلك الفترة.

المراد من هذا أن الكنيسة كانت بعبعًا جاثمًا على صدر الغرب، حتى على الملوك والأمراء؛ فكان الملك لا يصبح حكمه حكمًا شرعيًّا، إلا إذا اكتسب الصيغة الشريعة والبركة من البابا؛ وفي هذه الفترة ظهرت ما يعرف بصكوك الغفران، فالذي يأخذها يدخل الجنة، مهما ارتكب من أخطاء ومن آثام، وإن كان من أخطأ الناس، وليس عليه إلا

أن يأخذ الصك من البابا؛ فإذا أعطاه البابا الصك، يضعه على صدره أو على أي مكان، ويكون كأنه ضمن الجنة ولا يبالي بما يفعل بعد ذلك.

وبنفس الوقت، كانت أسوأ وأخس طبقة من الناحية الأخلاقية، هي طبقة رجال الدين البارونات والقساوسة؛ أتوا من الفواحش والمنكرات الشيء الكثير جدًا، كانوا يأخذون النساء والأولاد كما يشتهون، بل كانت الفاحشة منتشرة بينهم وبين بعضهم البعض؛ رغم أنهم أمام الناس كانوا يظهرون التنسك والورع، وترك القاذورات وترك الدنيا وعدم الزواج وكذا؛ وفي الحقيقة هم أخس الخلق، تمامًا مثل الذي يحصل الآن؛ منذ أسبوع تقريبًا كانت هناك ضجة كبيرة جدًا، حيث أنهم اكتشفوا أن الجنس الثالث أكثر ما يكون في طبقة رجال الدين.

بل كشفوا أكثر من فضيحة لواط بين القساوسة وبعضهم البعض؛ بل وصل الأمر إلى البابا يوحنا، فبعض الناس اتهموه أنه شاذ جنسيًا، والفضيحة الكبرى؛ تعرفون المناظرة التي تمت بين أحمد ديدات وبين القس المشهور جورج؛ بعدها بأقل من ثلاثة شهور ثبت أن جورج هذا شاذ جنسيًا، وأن له فضائح مصورة، لتكون له خزي في الدنيا قبل الآخرة؛ وعلى فكرة جورج هذا رئيس لجمعية من أكبر الجمعيات اليهودية، ومن أنشط الناس جمعًا للتبرعات لإسرائيل، ويجمع التبرعات باسم هدم المسجد الأقصى.

الثورة الفرنسية:-

المهم نقول: كان الناس في حالة من الحنق الكبير، على الكنيسة النصرانية في تلك الفترة؛ واستغل اليهود هذا الحنق الأوربي، الشديد على الكنيسة النصرانية، وقاموا بأكبر حدث في تاريخ أوربا المعاصر حتى الآن، وهو الثورة الفرنسية. والثورة الفرنسية قامت وهي ترفع شعار مشهور جدًا، على الملكيَّة والسلطة الحاكمة وعلى الكنيسة؛ وهو شعار "إخنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، هذا الشعار الذي كان يردده اليهودي الفرنسي "مارلو"؛ و"مارلو" هذا من أشهر قادة الثورة الفرنسية، وسنتكلم عن الثورة الفرنسية بشيء من التفصيل؛ لأنها من الأحداث الهامة جدًا، التي أثرت في العالم الإسلامي.

قامت الثورة الفرنسية عام 1789م ، وترتبت عليها آثار سياسية واقتصادية واجتماعية؛ والذي يهمنا الناحية السياسية، انبثق عنها شيآن في غاية الأهمية، ما زال لهما أكبر التأثير في عالمنا الإسلامي؛ الأمر الأول هي ظهور الديموقراطية، تلك الصنم الذي يراد أن يتخذ إله من دون الله؛ وسنتكلم عن الديموقراطية – إن شاء الله –، لأن الديموقراطية لم يقف ضررها وأثرها عند الأقلية الحاكمة؛ لو أن أثرها وقف عند الأنظمة الحاكمة، لكانت قضية سهلة، ولكن الأخطر من ذلك والأدهى؛ أن الديموقراطية أن تنفذ إلى صفوف الحركات الإسلامية، وهذه هي الطامة الكبرى.

الديموقراطية البرلمانات والانتخابات الشركية، استطاعت أن تجتاز –كما أراد لها اليهود – تغلغلها في الأنظمة الحاكمة والشعوب الإسلامية –؛ وهذا أمر مفروغ منه – استطاعت أن تجتاز هذا المدى، وتصل إلى أمر أشد وأخطر –؛ وهي أنها اخترقت صفوف الحركات الإسلامية؛ فأصبح هناك حركات إسلامية يشار إليها بالبنان، وأصبح هناك مفكرون إسلاميون كثيرون جدًا، منتشرون في شتى بقاع الديار الإسلامية؛ يتبنون الديموقراطية عقيدةً ومنهجًا، بل يتخذونها وسيلة لإقامة شرع الله في الأرض، سبحانك ربي هذا بهتان عظيم؛ وصرح بها أكثر من واحد، وتصريحاتهم موجودة كلها، أصبحوا والله يتخذون الديموقراطية وسيلة، لإقامة شرع الله في الأرض، فيصبح الكفر إيمان والإيمان كفر.

الأثر الآخر الذي انبثق عن الثورة الفرنسية، هو ظهور العِلمانية؛ ولم يعرف فصل الدين عن الدولة قبل الثورة الفرنسية أبدًا، في أشد فترات أوربا ظلامًا، لم يكن عرف هذا المصطلح أبدًا؛ فهذا المصطلح أظهره اليهود وفرضوه، واستطاعوا أن يصيغوا المجتمع الأوربي بأسره، والمجتمع الأمريكي الجديد، وفق هذا الشعار الجديد "فصل الدين عن الدولة"؛ فتصبح الكنيسة مؤسسة رمزية، كل العلاقة بينها وبين النصراني يوم الأحد، يذهب يوم الأحد ويرجع وانتهت الفضية، هذه هي العلاقة بينه وبينها، بالإضافة لأوقات الأفراح ووقت الموت؛ تمامًا كما أرادوا أن يفعلوا في بلادنا الإسلاميّة؛ أن تصبح العلاقة بين المسلم وبين دينه هي فقط المعبد هذا المسجد، ووقت الزواج ووقت صلاة الجنازة، وكان الله يحب المحسنين.

نقول: ظهرت العلمانية في أعقاب نجاح الثورة الفرنسية؛ وبالفعل تم صياغة المجتمع الأوربي بأسره، وفق مبدأ فصل الدين عن الدولة، والخطورة أن هذا الحدث لم يقف عند حدود أوربا، وإنما تجاوز حدود أوربا إلى العالم الاستعماري الإسلامي؛ وكان الذي قام بهذه الدور هم دعاة التغريب، ودعاة التغريب حديث طويلٌ عندنا.

قامت الثورة الفرنسية عام 1789م، وبعدها بخمسة سنوات تقريبًا وضع نابليون – القائد التاريخي المشهور– وضع قانونه المشهور، والذي للأسف حتى الآن هو المصدر التشريعي لكثير من بلاد المسلمين.

في عام 1804 وضع نابليون بونابرت قانونه المشهور، وفي هذه الفترة انقسمت أوربا تشريعيًا إلى قسمين؛ دول تأخذ بالتشريع الفرنسي، ودول تأخذ بالتشريع البريطاني، وهذا التقسيم يوجد حتى الآن في بلادنا الإسلامية؛ لو أردت أن تصنف دولنا الإسلامية من ناحية الكفر أو جنسية الكفر، أو جنسية الطواغيت التي تعبد من دون الله؛ فبعضهم يأخذ بالتشريعات الفرنسية، وبعضهم يأخذ بالتشريعات البريطانية، وبعضهم يمزج بين الأمرين تقليدًا لأمريكا؛ الفرق بين الطريقتين أن الطريقة الفرنسية تعتمد النظام التفصيلي، فلكل أمر نص؛ فحاولوا أن يحصروا شتى أنواع النشاط البشري، ويقسمونه إلى أنواع؛ القانون التجاري، القانون البحري، القانون المدني، قانون القضاء، قانون المرافعات، القانون العسكري..إلخ، وكل قانون يحتوى على مواد؛ فحاولوا أن يستوعبوا شتى أنواع النشاط البشري، هذا القانون الفرنسي، وكله مكتوب.

القانون البريطاني: له صيغة أخرى وطريقة أخرى، يسمونه بطريقة السوابق القضائية، وهذه لها مثال عندنا وهي السوابق الفقهية، وهناك خلاف بين العلماء، هل هي مصدر من مصادر التشريع؟ يعني حادثة ليس لها نص، يعني حادثة في مجال الإجتهاد؛ فوجدنا لها حكم لفقيه من المتقدمين، فهل يحق للمجتهد الذي جاء بعده أن يأخذ منه؟ فهذه مسألة ثانوية، من مصادر التشريع المختلف فيها، عند أهل الأصول؛ ذكرت هذا حتى أقرب لكم،

فهم عندهم السوابق القضائية؛ فالقاضي قبل أن يحكم يبحث، هل هناك قاضي آخر حكم في واقعة تشبه هذه الواقعة؟ فإذا وجد يحكم بهذا الحكم، وإذا لم يجد فيحكم من عنده.

فالقاضي قد يجتهد لإيجاد حكم جديد، وحكمه الجديد هذا قد يصبح تشريعًا، لمن يأتي بعده وهكذا؛ وهذا يسمى بـ"نظام السوابق القضائية" أو يسمى بـ"النظام الأنجلوسكسوني"، وهو النظام المطبق في باكستان وفي بنجلاديش، تقليداً لبريطانيا، لماذا؟ لأن بريطانيا كانت تستعمر منطقة شبه القارة الهندية؛ الهند وبنجلاديش وباكستان، تلك البلاد التي قسموها بعد الإستعمار.

نقول: إذًا انقسم العالم الإسلامي؛ بعضه أخذ بالتشريعات الفرنسية، وبعضه بالتشريعات البريطانية، وبعضه جمع بين الصيغتين.

سابقة التتار كأول شريعة وضعية في تاريخ الدولة الإسلامية:-

نرجع للعالم الإسلامي، ونربط بين العالم الإسلامي وأروبا، وكيف انتقلت العلمانية، من أوربا إلى العالم الإسلامي؟ وهذا الأمر سنتناوله بالتفصيل، عندما نتكلم عن السياسة العثمانية، أولًا نسأل سؤال؛ هل حدث في تاريخ البشرية، وفي تاريخ الدولة الإسلامية من قبل، أن نحي شرع الله واستبدل بشرع البشر؟

الجواب: نعم، حدثت سابقة شاذة كما يقول ابن كثير، سابقة فريدة في التاريخ الطويل للدولة الإسلامية من النبي – عليه السلام – إلى الخلافة العثمانية، وهي سابقة التتار؛ ولهذه السابقة قصة تاريخية – ستأتي معنا عندما نتحدث عن الهجمة التترية –، التتار بعد أن جمعهم "جنكيز خان"؛ وكانوا قبائل متفرقة، قاموا بتلك الهجمة الشرسة على العالم بأثره، حتى وصلوا إلى بغداد، عندما دخلوا إلى بغداد سنة 656هـ؛ كان لديهم تشريعًا وضعه لهم طاغوتهم الأكبر "جنكيز خان".

هذا التشريع كان خليط من الشريعة اليهودية، ومن الشريعة النصرانية، ومن الشريعة الإسلامية، ومن تشريعات وضعها "جنكيز خان" من عند نفسه؛ ثم جعله قانونًا ملزمًا لاتباعه، وكان هذا الرجل له من التقديس الشيء العظيم عندهم؛ حتى أنهم عندما أسلموا، وناقشهم بعض علماء المسلمين؛ كيف تحكمون هذا "الياسق" بعد أن دخلتم في الإسلام؟!! فقالوا: "هما رجلان عظيمان" يقصدون محمد – صلى الله عليه وسلم – و"جنكيز خان"، وكان كثير منهم يألهونه.

المهم عندما دخلوا عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، بخيانة الروافض كابن العلقمي ونصير الشيطان الطوسي؛ نقول: عندما دخلوا البلدان الإسلامية، كانت فترة وجيزة ثم دخلوا في الإسلام، وبعضهم حسن إسلامه؛ ولكن الغالبية ظلت على تمسكهم بالإسلام الظاهري، رغم إسلامهم إلا إنهم ظلوا يتحاكمون إلا الياسق، وهذه هي السابقة؛ فالسابقة بدأت منذ إسلامهم، أما قبل إسلامهم فليس لنا علاقة بهم؛ كانوا كفار، فعندما أسلموا ظلّوا يحكمون تلك

الديار الإسلامية بغداد والعراق؛ ظلوا يحكمونها بالياسق؛ تلك الشريعة الممزوجة، بالتشريعات اليهودية والنصرانية والإسلامية، وبعض التشريعات التي وضعوها.

وتلك التشريعات كانت بمنتهى الصرامة، هذا الرجل لم يكن يعرف عقوبة إلا القتل، من ضحك في مجلسه يقتل، ومن سرق يقتل، ومن زنى يقتل؛ لأن هؤلاء القوم –كما سيأتي معنا في قصتهم – في منتهى الدموية، فأمر القتل عندهم شيء عادي جدًا، كانوا همجًا رعاع.

نقول: ظل التتار في بغداد ما يربوا من 50 سنة، ثم بعد ذلك قاموا بهجمة جديدة على العالم الإسلامي، وأرادوا أن تزداد الرقعة التي يحكمونها؛ فقاموا بهجمة على الديار الشامية، فكان من أبرز المتصدين لهم، شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه –.

نقول: قام لهم من ضمن من قاموا، وكان على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية؛ ولابن تيمية حديث مستفيض عن التتار، أودعه في المجلد (28) ضمن مجموع الفتاوى؛ وعندما هجم التتار، انقسم الناس إلى فريقين؛ فريق تورعوا – زعمًا – في قتالهم، وقالوا كيف نقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله، ويقيم الصلاة؟ (..) يقول الشيخ سفر الحوالي: تلك الشبهة القديمة الجديدة، التي تتجدد في كل زمان، يحاول فيه بعض المخلصين، العودة إلى توحيدهم.

المهم؛ ابن تيمية العالم الرباني، أماط اللثام عن تلك الشبهة بشتى الوجوه؛ وكان من ضمن ما ذكره في تكفير هؤلاء القوم وأمثالهم، أنهم يحكمون الياسق؛ وتكلم في مقدمة مهمة جدًا، حتى ندخل في هذا الموضوع دخولًا جادًا، نتكلم عن هذا الأمر على الهامش هكذا؛ وهو ضرورة معرفة الواقع محل الفتوى، فالعالم لا يتمكن في الحكم في موقعة ما، إلا بنوعين من العلم؛ العلم بالواقع، والعلم الشرعي، والعلم بالواقع قدمه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقدمه ابن القيم على العلم الشرعي –كما سيأتي معنا هذا الكلام –.

نقول: من ضمن الأمور التي ذكرها، والحيثيات التي فصلها شيخ الإسلام ابن تيمية، أنهم يحكمون "الياسق"؛ وهذا الاسم الذي أطلقه العلماء، على تلك التشريعات؛ وله اسم آخر، ذكره ابن كثير في تفسيره وهو "الياسا"، فإما بالألف أو بالقاف، وكلاهما يدلان على مادةٍ واحدة.

نقول: شاء الله سبحانه وتعالى أن ينكسر التتار على جند الشام؛ الذين كان يلقبهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تلك الفترة بالطائفة المنصورة، (..) ولشيخ الإسلام مناظرة طويلة مع قازان صدع فيها بالحق، حتى كان أصحابه الذي خرجوا معه يلملمون أطراف أثوابهم خوفًا من الدم أن يتقاطر عليهم، فقارن بين العالم الذي ينطق بكلمة الحق وبين العالم الذي لا يهمه إلا نفسه، ولذلك خلّده التاريخ وعفى عليهم الزمن، ولذلك كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: "بيننا وبينكم يوم الجنائز"، فالأمر يعرف بعد أن يأخذ الله من يأخذ ويمر التاريخ، بعد ذلك يأتي القول الفصل، فالتاريخ لا يحابي أحدًا، فكما قال الإمام أحمد "بيننا وبينكم يوم الجنائز" فهذا معيار وميزان بين المبتدع وبين أهل الإيمان، لا تغتروا بالدنيا هذه مقاييس زائلة، لكن الميزان الحقيقي بعد الموت، والتاريخ لا يحابي أحدًا، شئت أم أبين.

هؤلاء العلماء كانوا يلملمون أثوابهم، خوفًا من دم شيخ الإسلام ابن تيمية، أن يتقاطر على أثوابهم؛ وقال له أحدهم وهو مشهور: "لقد كدت أن تهلكنا"، يعني – سبحان الله –، جمعوا بين قبيحين؛ سكتوا عن الحق، وأنكروا على القائل بالحق، فقال له: " لقد كدت أن تهلكنا والله لا نصاحبك" وتركوه وحده؛ حتى تعرف أن الحق قليلٌ أنصاره، فبقي شيخ الإسلام لوحده، ورجعوا هم في قافلة وحدهم؛ فكانت العاقبة أن خرج عليهم قطاع طريق، فجرّدوهم من كل شيء، وتركوهم شبه عراة؛ أما شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي كان وحده فسمع به الأمراء الملوك، فخرجوا به وساروا معه من خيمة قازان، إلى أن أوصلوه إلى بيته، في موكب حافل.

فدخل الشام في موكب حافل، وهؤلاء ليسوا من أنصاره، ولا من تلاميذه، بل من الذين سمعوا به؛ الحق له قوة ذاتية يا إخوة، وبعدها تجرأ الناس، وتجرأ المسلمون على التتار؛ وجاءت دولة المماليك، وتم القضاء على التتار كليةً، من ديار الإسلام والمسلمين.

فنقول: باستثناء هذه الحالة الشاذة، كان الحكم المسيطر على بلاد المسلمين إلى الخلافة العثمانية، هو حكم الله ورسوله أي الحكم بما أنزل الله.

إختراق العلمانِيَّة للعالم الإسلامي:

نقول أن أثر العلمانية لم يقف عند أوربا، بل تجاوز حدود أوربا واخترق العالم الإسلامي، ولهذا الإختراق قصة؛ نحاول أن نأتي على الجانب الذي يخصنا منها الآن، وهو الجانب التشريعي، ونبين كيف إستطاعت العلمانية أن تخترق العالم الإسلامي.

قلنا أن الثورة الفرنسية 1789م، وفي هذ الفترة كانت الديار الإسلامية، تعيش في ظل الخلافة العثمانية؛ ونقول أن الخلافة العثمانية، قبل هذا التاريخ بقرونٍ طوال، بدأت تدخل في طور الضعف والإنحلال، ولهذا أسباب كثيرة؛ أسباب داخلية، وأسباب خارجية، أسباب من صنع المسلمين أنفسهم، بتخليهم عن هذا الدين؛ ثم أسباب ترجع للكيد العالمي اليهودي والنصراني، بالضغط للقضاء على الخلافة العثمانية؛ وللخلافة العثمانية حديث طويل معنا – إن شاء الله –، في درس المسائي، وكيف سقطت الخلافة العثمانية؟ إلا أن الذي يهمنا الآن، هو خط التحول التدريجي أو الانحراف التدريجي، نحو الأخذ بالتشريعات الوضعية.

تاريخ تشريع القوانين الوضعية في السلطنة العثمانية:

نقول سنة 1453م سقطت القسطنطينية ودخلها محمد الفاتح، وفي الهامش نذكر أن لبعض العلماء رأي في هذا الفتح فمنهم من يرى أن هذا الفتح ليس هو الفتح الذي بشر به النبي عليه الصلاة والسلام، والدليل على ذلك ما كانت عليه الدولة التركيّة أو الخلافة العثمانيّة في ذلك الوقت والذي كان عليه محمد الفاتح نفسه، ومن أشهر المناصرين لهذا القول العلّامة المحدث أحمد شاكر فهو يرى أن هذا الفتح ليس هو الفتح الذي بشر به النبي عليه الصلاة والسلام.

المهم نقول دخل محمد الفاتح القسطنطينية عام 1453م وخضعت القسطنطينية لحكم الدولة العثمانية، والغريب أن السلطان محمد الفاتح، كان هو الفاتح وكان هو المنتصر، إلّا أنه بعد أن دخلها فاتحًا، بدأ يعامل النصارى

واليهود، معاملةً في منتهى التسامح؛ ولا نقصد بذلك التسامح، الدين الذي جاء في شريعتنا، وإنما نقصد بذلك فتح باب التقريب والتميع مع غير المسلمين؛ ولهذا الباب من الخطورة، ما ترتب عليه القضاء على الخلافة العثمانية برمتها.

نقول: محمد الفاتح أعطى لغير المسلمين – اليهود والنصارى – تسهيلات كثيرة؛ بلغت هذه التسهيلات حدًا، جعل اليهود والنصارى يفضلون الإقامة، في أراضي الخلافة العثمانية، على الإنتقال للبلدان النصرانية!!! (...)، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد، بل أباح محمد الفاتح لرجال الدين النصراني، ورؤساء الطوائف النصرانية، أن يتولوا بأنفسهم القضاء في شؤون طوائفهم؛ وهنا بدأت الخطورة والانحراف، فبدلًا أن يخضعوا لحكم الإسلام، ويدفعوا الجزية مقابل بقائهم في الديار الإسلامية؛ سمح لهم أن يقوموا بحل النزاعات المدنية أو الجنائية، أو التجارية أو غيرها، بناءً على تشريعاتهم بأنفسهم؛ بعيدًا عن تدخل السلطة الإسلامية، وفي هذا من الانحراف ما فيه، فكان هذا بداية دخول التشريعات غير الإسلامية، في ظل الخلافة العثمانية.

كذلك أبقى محمد الفاتح لبطريق الروم سلطانه القضائي، في المعاملات والعقوبات؛ فأعطاه كامل صلاحيته القضائية، يضرب ويعاقب ويشرع كما يشاء؛ وكذلك أبقى لبطريق الأرمن نفس الصلاحيات، كذلك فعل مع رهبان اليهود؛ فترك لكل هذه الطوائف الحرية الكاملة، في القضاء وفي التشريع وفي العقوبات؛ فمن هنا بدأ يدخل تشريع آخر، بجانب التشريع الإسلامي؛ ومن المعروف أن بقعة الزيت لا تقف عند حد معين، وإنما تزداد بمرور الزمن، وهذا الذي حدث بالفعل.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام السلطان محمد الفاتح، باستبدال القصاص بالغرامات المالية؛ مسح القصاص ووضع مكانه الغرامات المالية، مما فتح الباب أمام تعطيل الحدود الشريعة، كما هو الآن في كثير من أنحاء الدنيا.

بعد محمد الفاتح جاء الخليفة بايزيد، الذي توفي سنة 1512م؛ واستمر في الأمر كما كان في عهد محمد الفاتح، ولم يكن هناك تغيير يذكر، ثم جاء بعد السلطان بايزيد السلطان سليم، المتوفي سنة 1520م، واستمر الوضع على ما كان عليه، في عصر محمد الفاتح؛ ثم بعد ذلك جاء أشهر خلفاء الدولة العثمانية المعاصرة، الذي عرف باسم

سليمان القانوني؛ وانظر إلى مفهوم اللقب الذي ألصق به، فهذا اللقب جاءه من التشريعات التي كان يأخذ بها، واستنت الدولة العثمانية بالدول الأوربية ومن دار في فلكها.

نقول: توفي سليمان القانون 1566م، وفي عصر هذا السلطان، بلغت الخلافة العثمانية أقصى اتساع لها؛ فكان في القمة من القوة والنفوذ، وهنا أمر عجيب جدًا، فرغم ذلك إلا أنه تنازل كثيرًا مع الانجليز، وتنازل إلى حد خطير؛ رغم أنه كان منتصرًا، ورغم أنه كان يهدد ويضرب، كل أبواب الدولة الأوربية بلا استثناء، وكانوا يرهبونه تمامًا؛ فمن أين جاءت تلك الامتيازات، وتلك التنازلات التي منحها لهم راضيًا؟ يقول المؤرخون أن هذا الرجل أوتي من قبل زوجته؛ فكان له زوجة نصرانية روسية من الكنيسة، أرثوذكسية تدعى روكسلان، هذه المرأة كانت صاحبة نفوذ قوي جدًا على هذا السلطان، فكان يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها؛ حتى أنه قام بقتل جميع أولاده إرضاءً لها، حتى يتفرغ الحكم لابنها سليم، الذي جاء بعده وتولى الخلافة بعد أبيه.

فنقول: أوتي هذا الرجل من قبل زوجته، التي جعلته يقدم تنازلات جمى، رغم أنه المنتصر؛ وفي عهده ظهرت لأول مرة الامتيازات الأجنبية، التي قضت على الخلافة العثمانية؛ والتي جعلت من الرعايا الأوربيون، لهم من النفوذ فوق صلاحيات المواطن المسلم؛ فأصبح الأوربي له من الصلاحيات داخل البلد، فوق صلاحيات المواطن المسلم.

نقول: من أشهر تلك الامتيازات، التي قام هذا السلطان بعقدها، تلك المعاهدة المشهورة التي ذكرها محمد فريد في كتابه؛ تلك المعاهدة التي أبرمها مع فرنسا سنة 1536م[11]. وتأمل أنه كان هو المنتصر في حربه مع فرنسا، بل هو الذي أخرج الامبراطور الفرنسي "فرانسوا الأول" من أسره؛ فكان أسيرًا عند ملك إسبانيا، فقام وأخرجه من أسره، رغم ذلك وقع معه معاهدة، كلها لصالح فرنسا! ولم تشمل فقط الرعايا الفرنسين، بل شملت أيضًا الرعايا النصارى، مع اختلاف جنسياتهم، وكانت هذه المعاهدة ذات بنود متعددة؛ سمحت للنصارى بالتجول الحر، فتتجول مراكبهم وسفنهم، بأسلحة أو من دون أسلحة، في كافة ديار الخلافة العثمانية؛ وليس فقط في تركيا، بل لكل ما يخضع للحكم العثماني، وكانت امبراطورية كبيرة في ذلك الوقت.

---

[11] راجع نص المعاهدة في الكتاب المذكور (الدولة العلية العثمانية) لمحمد فريد ص 223.

وكذلك ساواهم في الضرائب وفي الجمارك مع المسلمين، كذلك أعطى للقنصل الفرنسي من الحقوق، ما يتساوى مع حقوق الحاكم، أو القاضي الشرعي في نفس ذلك البلد؛ فليس هناك دعوى ترفع، ويكون طرف فيها أحد الرعايا الفرنسيين، إلا بصك أو بسند من القنصل الفرنسي؛ فلا بد للمدعي حتى يرفع دعوى، على أحد الرعايا الفرنسيين أو النصارى، أن يأتي بصك من القنصل الفرنسي؛ بل جعل المنازعات الجنائية – لأنها خطيرة –، لا تُنْظر في المحاكم الشرعية العادية، بل ترفع للباب العالي؛ والباب العالي ولاؤه بالطبع للأوربيين وللنصارى؛ كذلك أعطى النصارى كامل الصلاحية، والحرية التامة في إظهار شعائرهم من الكفر البواح، دون أن ينكر عليهم أحد من المسلمين، بنص هذه المعاهدة.

كذلك نصت هذه المعاهدة، أنه إذا قام أحد الرعايا الفرنسيين بخيانة مالية أو نحوها، ثم هرب والتحق بدولته أو بغيرها؛ فلا يطالب القنصل الفرنسي، ولا أحد من الرعايا الفرنسيين بهذه الجناية، فيفعل جنايته ويهرب وتنتهي القضايا، وبالفعل كثير من الثروات العثمانية، هربت وسربت من الديار الإسلامية.

وكذلك نصت هذه المعاهدة، على أن من يمضي في الخلافة العثمانية عشرة سنوات، يعفى إعفاءً تامًا من الضرائب والجمارك؛ وهذا لا يطبق على المسلمين، فالمسلمين يدفعون الضرائب والجمارك؛ فصار النصارى أفضل حالًا من المسلمين، فالذي يجلس ويمكث في الديار العثمانية، عشرة سنوات متتالية، يعفى من الضرائب ومن الجمارك.

ومن أخطر ما تضمنته المعاهدة، البند القائل – وانتبه لهذا البند لخطورته، ولدلالته في نفس الوقت –: أن المنازعات الجنائية والمدنية أو غيرها، التي تحدث بين الرعايا الفرنسيين بعضهم مع البعض؛ أو بين الرعايا الفرنسيين وبين المواطنين المسلمين، وتكون في دائرة القنصل الفرنسي الصليبي؛ هو وحده الذي يقضي ويحكم فيها.

فتنص هذه المعاهدة من ضمن ما نصت، على أن المنازعات الجنائية أو المدنية أو غيرها، إذا كانت في ضمن دائرة القنصل الفرنسي الصليبي، فهو وحده الذي يحكم فيها؛ سواء إذا كانت بين الفرنسيين مع بعضهم البعض، أو كانت بين الفرنسيين وأحد المسلمين؛ وتنص هذه المعاهدة، على أنه ليس للحاكم أو القاضي الشرعي أو أي موظف آخر أن يمنعه، إذا كان النزاع ضمن دائرته؛ فليس لأحد أن يتدخل، طالما أن النزاع ضمن صلاحية القنصل الفرنسي، فهو الذي يقضي فيها، وهو لن يقضي فيها بالطبع بحكم الله، بل سيقضي فيها بتشريعاته الوضعية.

عندما رأى الملك الفرنسي "فرانسوا الأول" هذه المعاهدة، وما فيها من إنجازات كثيرة، لم يبخل بها على بني جنسه؛ فاشترط على السلطان العثماني، أن يكون البابا وملك إنجلترا وملك إنجوشيا [12]؛ اشترط أن يكون هؤلاء الثلاثة، لهم الحق في الاشتراك في هذه المعاهدة، حتى يعم النفع بني دينه؛ اشترط أن يدخل هؤلاء كلهم في هذه المعاهدة، لما فيها من الإنجازات، ومن الأمور التي تعود بالنفع على النصارى كافة.

يقول في سنة 1673م، قامت فرنسا مرة أخرى بتجديد هذه المعاهدة، بعد أن مات سليمان وجاء من بعده، حرصًا عليها؛ وكان هذا في عهد السلطان محمد الرابع، وكان الذي يحكم فرنسا في هذا الوقت لويس الرابع عشر، ولم يكتفوا بكل ما فيها من امتيازات، وإنما أضافوا إليها امتيازات أخرى.

ومن ضمن هذه الإضافات، أن فرنسا هي الحامية لجميع الكاثوليك، في الأراضي العثمانية، مهما اختلفت جنسياتهم؛ وهناك نقطة يجب أن نتفطن إليها، في قولهم: "مهما اختلفت جنسياتهم"، وهي أن هناك بعض الرعايا العثمانيين نصارى؛ فهذا مع أنه مواطن عثماني، تصبح فرنسا هي المسؤولة عنه؛ انظر إلى منازعة السلطان العثماني في أخص خصائصه، في دياره وفي مواطنيه، ونفس الأمر فعلته بريطانيا في مصر؛ فأصبحت بريطانيا هي المدافعة والحامية، حتى للنصارى المصريين، وهذه مصيبة كبرى؛ يزاحمون السلطان العثماني، في أرضه وفي رعاياه، فتكون لهم الكلمة في أرضه وفي مواطنيه، فانظر إلى هذه الدلالة التي في منتها الخطورة.

ومن ضمن الامتيازات التي زادتها فرنسا، أن الرهبان الكاثوليك هم المسؤولين عن خدمة بيت المقدس، وسائر المقدسات النصرانية في القدس.

نقول كذلك قامت فرنسا كذلك، بتجديد هذه المعاهدة مرة ثالثة سنة 1740م؛ ولم تقف الدول الأوربية موقف المتفرج، وهي ترى فرنسا تستفرد بالمسجد الأقصى، وإنما أرادت لتزاحمها حتى تأخذ نصيبها أيضًا، من هذه الغنيمة الكبيرة؛ فدخلت بريطانيا في تلك اللعبة، ففي سنة 1780م، وقعت ملكة بريطانيا "إليزابيث"، نفس هذه المعاهدة مع الباب العالي، مع السلطان العثماني؛ وفي هذه السنة 1780م، بدأت بريطانا تدخل في اللعبة، حتى تأخذ نصيبها في هذه الغنيمة.

[12] وكانت "إنجوشيا" إمارة أوربية في هذا الوقت.

وفي هذه السنة أيضًا 1780م، تم تشكيل محاكم خاصّة، تتبع القنصليات البريطانية، في كافة أنحاء الدولة العثمانية؛ تحكم بتشريعات الانجليز، وتقوم بالنظر في جميع القضايا، التي يكون طرفاها أو أحدهما من الانجليز؛ يعني حتى لو اختلف واحد مسلم مع واحد بريطاني، يتحاكمون إلى القوانين البريطانية، التي تحكم بالتشريع البريطاني.

كذلك في عام 1806م، عقدت الدولة العثمانية اتفاقية مشابهة، مع أسرة "هابسبرغ"؛ وهذه كانت إمارة ألمانية، في أوربا في تلك الفترة، وكذلك في عام 1830م، حصلت الولايات المتحدة الأمريكية على نفس الامتيازات.

فهذه فعلًا غنيمة، فأرادوا أن يقتطعوا لهم نصيبًا فيها؛ وكذلك في سنة 1838م، حصلت بلجيكا على نفس الامتيازات؛ وكما قلنا أن هذا كله بدأ، مع بداية ضعف الدولة العثمانية، التي كانوا يطلقون عليها "الرجل المريض".

ثم بعد ذلك بدأ العثمانيين بأنفسهم، يشرعون تشريعات مخالفة لما أنزل الله؛ وكان هذا الأمر بسبب النفوذ اليهودي، الذي تغلغل في الدولة العثمانية، على يهود الدونمة وعلى أيدي الحركات الماسونية السرية، التي انتشرت في تلك الفترة؛ وكان من أبرزها حركة "تركيا الفتاة"، وحركة "الاتحاد والترقي"، أو ما عرف بـ"الكماليين"؛ الذين كان من أشهرهم مصطفى كمال أتاتورك، الذي سنتحدث عنه الآن بشيء من التفصيل.

سنة1840م استطاع هؤلاء الكماليون، أن يقوموا بإصدار قانون الجزاء[13]؛ الذي استمد أغلبه من القانون الفرنسي، ليحل محل الحدود الشرعية؛ وكذلك في سنة 1850م، أي بعد عشرة سنوات، صدر قانون التجارة، الذي سمح للتجار العثمانيين بممارسة التجارة، بنفس الأساليب التي يمارسها بها التجار غير المسلمين؛ وأول هذه الأساليب الربا.

ولم يكتفوا فقط بإصدار القانون التجاري، فأنشؤوا محاكم تجارية، لتطبقت هذا القانون؛ فأصدروا قانون ثم أنشؤوا محاكم لتطبقه! في سنة 1861م، تم إنشاء المحاكم التجارية لتتولى النظر في القضايا التجارية المختلفة، ويقضى فيها بموجب القانون التجاري، الذي صدر سنة 1850م، الذي يجيز ويحلل أمور كثيرة من ضمنها الربا.

---

[13] أي: قانون العقوبات.

ومن أخطر تلك الانحرافات، والقوانين التي شرعوها في دين الله؛ ذلك القانون الذي أصدر سنة 1869م، وعرف بقانون الجنسية، فهذا القانون كان ضربة صارمة، في صميم العقيدة الإسلامية؛ لأنه ألغى الفوارق الدينية، وأحل محلها الحركة القومية، والاتجاه القومي العنصري؛ فلا يوجد في القانون، شيء اسمه مسلم ونصراني ويهودي، الكل سواسية في وجه القانون –كما يطبق الآن –، فساوى في الحقوق والواجبات بين المسلم والنصراني واليهودي، وغيرها من الأديان؛ فهذا كان من أخطر القوانين التي شرّعت، قضى على ما يعرف برابطة الدين، وأحل محلها الرابطة القومية العنصرية؛ وأقر الحرية الدينية كما يقولون: "الدين لله والوطن للجميع"، وهذه العبارة الخطيرة تلمح إلى أن الدين فقط لله، أما الوطن فليس لله!!!

وظهرت في تلك الفترة –كما سيأتي معنا في درس المساء – الحركة الطورانية؛ والتي أشرع على غرسها وإنمائها، في الديار الإسلامية يهود الدونما؛ وأنقل مقولة لمتحد باشا، وهو كان قرين مصطفى كمال أتاتورك، وهو يهودي أصلي من يهود الدونما؛ الذين أظهروا الإسلام كذبًا وزورًا، والذي أصبح الصدر الأعظم، أي رئيسًا للوزراء؛ وهو الذي أنشأ حركة (تركيا الفتاة)، الحزب المقابل لحزب (الاتحاد والترقي)، وكان هذان الحزبان يتنازعان الحكم في تركيا، في ظل انحسار الخلافة العثمانية.

يقول متحد باشا، كما جاء في كتاب (النأي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين، بأهل الذمّة والكفار)، والذي كتب هذا الكتاب، عالم من أواخر علماء الدولة العثمانية [14]؛ عندما رأى هذه الهجمة الشرسة؛ كتب هذا الكتاب إبراءً لذمته، والكتاب حققه د. طه زياد العدواني، جاء في ص 35: "يقول متحد باشا: القوانين الغربية هي العامل الأول، في تقدم الشعوب ورقيّها؛ وإن على تركيا إذا أرادت أن تبقي، في مصافي الدول العظمى، وتواكب هذه الدول في مضامير التقدم العلمي؛ عليها أن تتبع نفس النظم، التي تسير عليها أوروبا العظمى الآن".

فانظر كيف يدعوا بوضوح لإستبدال الشريعة، فيقول تريدون أن تتقدموا، اتركوا هذا الدين، واستبدلوه بقوانين الطواغيت؛ وهذا الدين قد عفى عليه الزمن، وهذا الدين لا يصلح للتقدم، وهذا الدين كذا وكذا (..).

[14] هو الشيخ مصطفى بن محمد الورداني.

أقول بعد ذلك انفرط العقد، وتتابع عملية الهدم الصريح، والواضح لأواصر الأحكام الشرعية؛ (..) وتم إلغاؤها بشكل كامل، واستبدالها بالقوانين الوضعية، ثم أن مسيرة هذا الانحراف وصلت حتى استبدال الأذان؛ فاستبدل الأذان في تركيا المسلمة، التي كانت محل الخلافة، استبدلت وغير الأذان، من اللغة العربية إلى الغلة التركية، فصار الآذان باللغة التركية.

إلا أنهم في ظل هذا الانحراف في هذا الصرح الإسلامي، كانت هناك محاولات للإصلاح وإيقاف هذا الانحراف؛ فكانت هناك محاولات لإيقاف النفوذ الأوربي المتغلغل، قام بهذه المحاولات السلطان عبد المجيد؛ قام هذا الرجل في عام 1869م، وأراد أن يلغي هذه الامتيازات، التي وقعتها الخلافة العثمانية مع هذه الدول الأوربية؛ أراد أن يقوم بثورة، يلغي بأسرها كل هذه الامتيازات دفعة واحدة، فلم يستطع أن يغير فيها حرفًا واحدًا؛ لأن الدول العثمانية، كانت أضعف من أن تقف أمام أوربا، في هذا الوقت؛ رغم أنها كانت من قبل تهاجم أوروبا، وكانت روسيا تدفع الجزية منذ فترة قريبة (..).

في سنة 1856م، عقد السلطان عبد المجيد مع الدول الأوربية، مؤتمرًا دوليًا في باريس؛ طالب بإنهاء هذه الامتيازات الدائمة، وقال لهم مبرّرًا هذا الطلب: "نحن غيرنا كل التشريعات التي تأخذونها عليها، واستبدلنا كثير من الأحكام الشرعية بقوانين وضعية"؛ وهو يقول هذا الكلام، حتى يرضي الدول الأوربية، ورغم ذلك ورغم ما قدمه من تنازلات تقدح في دينه؛ إلا أنهم لم يوافقوا على هذا الطلب، ورفضوا أن يتنازلوا، عن أي امتياز من هذه الامتيازات؛ ورأى السلطان أنهم يريدون أن يتحكموا، في أرضه وفي مواطنيه؛ والذي يؤخذ لهذا الرجل السلطان عبد المجيد، أنه في هذه السنة أصدر مرسومًا يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: ذكر أن الشريعة الإسلامية هي القانون العام في المعاملات؛ وهذا البند يذكّرك بالبنود، الموجودة الآن في دساتير المسلمين، "الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي في التشريع"؛ وطبعًا هذا من باب الخداع، والتدليس على الشعوب الإسلامية، فعبد المجيد فعل نفس الأمر.

والبند الثاني: تحت اختصاص المجالس الملّية، النظر في المعاملات المالية والتجارية، وإحالتها إلى المحاكم المحلية المختصة. المجالس الملية التي كانت منتشرة، في كامل السلطنة العثمانية، تحيل للمحاكم المحلية المختصة؛ رغم أن هذه المحاكم لم تكن تحكم بالشريعة، وإنما دخلها ما دخلها من القوانين الوضعية.

الأمر الثالث: حصر اختصاص تلك المجالس الملية، في منازعات الأحوال الشخصية؛ فأراد أن ينزع المعاملات التجارية والمالية، من اختصاص المجالس الملية، وحصرها على الحكم في المنازعات الشخصية؛ بشرطين:

- اتحاد الملة؛ أي: أن يكونوا من دين واحد
- والشرط الثاني: تراضي الخصوم.

فعندهم لو أن رجلًا متزوج من امرأة نصرانية، ووافق وأراد أن يتحاكم لهذه المحاكم؛ فهذا البند يعطيه هذا الحق.

وكذلك من ضمن هذا المحاولات، التي قام بها بعض السلاطين، لمواجهة الغزو النصراني الأوربي؛ ما قام به السلطان عبد العزيز سنة 1869م، هذا الرجل أمر لجنة من كبار علماء الخلافة العثمانية، بوضع تقنين للأحكام الفقهية، (...) فأوصى هذا السلطان لجنة من العلماء، بأن تعكف على تقنين الأحكام الفقهية.

وفي النهاية قامت هذه اللجنة، في سنة 1876م، أي بعد عشرة سنوات من الأمر، بالإنتهاء من عملها؛ وتم وضع ما يعرف بمجلة الأحكام العدلية، والتي تستمد معظم أحكامها من المذهب الحنفي؛ وقدّر لهم بتطبيق هذه المجلة، في بداية تولّي السلطان عبد الحميد، آخر سلاطين الخلافة العثمانية؛ إلّا أن الخلافة العثمانية، كانت قد وصلت إلى وقت تردّي الأحوال، إلى الحضيض ووقت الإحتضار؛ فما هي إلا فترة وجيزة، وتم تنحية السلطان عبد الحميد، وتم هذا الأمر على مرحلتين؛ المرحلة الأولى: تنحية فعلية؛ فنحوه عن السلطة، وتولّى الكماليون السلطة، إلَّا أنهم أبقوا الخلافة عدة سنوات، إلى أن جاءت المرحلة الثانية: وتم الإعلان عن إلغاء الخلافة.

(..) وفي سنة 1908م صدر الدستور الأول، الذي يعلن صراحةً أن الدولة العثمانية، تنحوا منحى الدول الأوربية، في كافة تشريعاتها وقوانينها؛ وتم استخدام قضاة من السويس ومن فرنسا، ليقوموا بتقنين الأحكام الوضعية، التي سوف تتطبق في الديار الإسلامية.

وبعدها بسنة واحدة سنة 1909م، تم تنحية السلطان عبد الحميد؛ التنحية الفعلية واحتفظوا به، وأودع في أحد القصور، تحت الحراسة المشدّدة، واحتفظوا به كرمز وكصورة، ولكن ليس له من الأمر شيء، حتى أنه لم يكن له سُلطةً على حرس قصره؛ وكان الذي يدير الأمر، في تلك الفترة هم الكماليون، أي يهود الدنمة، وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك؛ ذلك الزعيم الذي صُنع وقُدم للناس، على أنه منقذ الأمة التركية في تلك الفترة؛ وهناك كتاب مهم، كتبه آخر (شيوخ الإسلام) في الخلافة العثمانية، الشيخ مصطفى صبري؛ وكان شيخ الإسلام والوكيل الأول، وكان آخر من تولى هذا المنصب؛ كتب كتابه المشهور (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية)، بتحقيق د. مصطفى حلمي، وهو كتاب مشهور متداول في الأسواق.

و في سنة 1923م، عقدت الجمعية الوطنية التركية مؤتمرًا؛ تم فيه الإعلان عن إلغاء السلطنة وإعلان الجمعية الوطنية، وانتخاب مصطفى كمال أتاتورك رئيسًا للجمعية؛ بعدها بعدة شهور في مارس سنة 1924م، قررت الجمعية الوطنية إلغاء الخلافة رسميًا، وإعلان أتاتورك رئيسًا للدولة التركية؛ وفي نفس الجلسة، أعلنت الجمعية الوطنية إلغاء وزارتي الشريعة والأوقاف، فلا حاجة لشريعة ولا لأوقاف، وخوفنا من المسلمين انتهى؛ فهل هناك صورة أوضح من هذا؟ ومنذ ذلك الوقت، بدأ خط انحراف التاريخ الذي تعرفونه.

تاريخ تشريع القوانين الوضعية في مصر:

بقعة أخرى من بقع الديار الإسلامية، التي تعرفونها وهي مصر؛ والتركيز كان منصبًا على مصر أولًا، ثم على تركيا ثانيًا؛ لما يمثلان من دور في قلب العالم الإسلامي.

نقول: في مصر بدأ الاتجاه، نحو التشريعات الوضعية في زمن محمد علي؛ ومحمد علي كان رجلًا ألبانيًا، قدم في الأصل إلى مصر، ليحكم باسم الخلافة العثمانية؛ إلا أنه انقلب على الخلافة العثمانية، وأعلن – بتأييد الدول الأوربية، وعلى رأسها انجلترا –، الانفصال عن الخلافة، وقام بغزو الديار النجدية بمساعدة أبنائه، فقام بقتال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

نقول: هذا الرجل كان مائلًا جدًا نحو أوروبا، وبدأ في عصره يرفع شعار، إعادة بناء مصر المتقدمة؛ وحتى الآن لم يبني مصر المتقدمة، وقام بإرسال البعثات التعليمية إلى أوربا، حتى تقتبس من أوربا، نورها وحضراتها وتقدمها؛ وطبعًا من ضمن هذه الأمور، التي لابد أن تقتبسها النظم الأوربية؛ وكان من ضمن من أرسلوا في تلك البعثات، رجل اشتهر في تاريخ العلمانيّة المعاصرة؛ وهو رجل معمم له لحية، يذكرنا تمامًا بالحكمة اليهودية (سيكون الشيطان أكثر تأثيرًا، عندما يمسك الكتاب المقدس بيده)، وهذا الرجل هو رفاعة رافع الطهطاوي.

هذا الرجل هو ورجل آخر تونسي، كانا أول رسل الحضارة الأوربية للعالم الإسلامي؛ الأول رفاعة رافع الطهطاوي، والثاني خير الدين التونسي، فالأول كان في مصر، والثاني من شمال إفريقيا أو المغرب العربي؛ هؤلاء كانوا أول من قاموا ببذر البذرة الغربية، أو الفكرة العلمانية في الديار الإسلامية؛ ذهب هذا الرجل لأوربا، منبهرًا بحضارتها وتقدمها، وعاد حاملًا هذه الجراثيم إلى أبناء دينه؛ وكتب كتابه المشهور (تخليص الإبريز في توصيف باريس)؛ تخليص الإبريز: يعني تنقية الذهب، فالإبليز هو الذهب، في توصيف باريس، وهي عاصمة فرنسا؛ فعنوان كتابه يعني تنقية الذهب، عن طريق أننا نأخذ من فرنسا، والتي أشهره ما فيها عاصمتها باريس.

وركز هذا الرجل المعمم في كتابه، أشد ما ركز على الإشادة بالدستور الفرنسي؛ فهذه كانت أشد ما أراد، أن يوصله لبني جنسه وبني دينه؛ الإشادة بالدستور الفرنسي، دستور الحرية ودستور الإخاء؛ وهذا الدستور— دستور الثورة الفرنسية —، وضعه اليهود تحت شعار، الحرية والمساواة والإخاء، وهي من الشعارات الماسونية المشهورة؛ وأخذ يدعوا قومه إلى ضرورة الاتباع والاقتفاء بآثار الدولة الفرنسية، إذا أرادوا التقدم والرقي، فكان هذا هو الأصل، الذي جاء به الرجل؛ وتكلم أيضًا عن الاختلاط، فأباح الاختلاط، وتكلم عن تعدد الزوجات، وذكر أنه أمر مرفوض، وأخرج فتاوى بتحريم تعدد الزوجات، وتكلم عن الطلاق، وأصدر فتاوى بحرمة الطلاق؛ فأراد أن ينقل نفس القالب الأوربي، إلى العالم الإسلامي، وكذلك أصدر فتوى بعدم حرمة المصارف الربوية، وكان هذا الرجل، هو أول من رفع شعار أخوة الوطن.

إلا أنه بالمقابل، قوبل هذا الرجل بهجمة شرسة، من علماء الأزهر في وقته، وصدرت الفتاوى تلو الفتاوى في تكفيره، وبأنه مارق خارج من الدين؛ فهذه وقفة تستحق أن نذكرها لهم في تلك الفترة، وبالفعل لم يستطع أن يحقق ما

أراد منه أسياده أن يحققه؛ بينما غرس تلك الغرسة، التي أكملها من جاء بعده من دعاة العلمانية، والمدرسة الإلحادية وذلك التاريخ الطويل.

وبالمقابل صاحبه خير الدين التونسي، قام بنفس المقاربة التي قام بها الأول في مصر؛ إلا أنه قام بها في شمال إفريقيا، وكذلك ألف التونسي كتابًا سماه (أقرب المسالك في معرفة أحوال الممالك)؛ يقصد بالممالك الدول الأوربية، والمنطلق الذي انطلق منه الطهطاوي، هو نفس المنطلق الذي انطلق منه التونسي؛ والدعاوى التي قام بها الطهطاوي، هي نفس الدعاوى التي يدعوا إليها التونسي؛ فكان هذين الرجلين، أول رسل الحضارة الغربية، لغزو ومحاولة هدم العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها.

بعد ذلك قامت بريطانيا بغزو مصر واحتلالها؛ وفي ظل الاحتلال البريطاني، تم إصدار الدستور الأول، فقامت الحكومة المصرية الموالية لبريطانيا، بإصدار الدستور الأول سنة 1923م؛ وكما تبنى الدستور في تركيا القوانين الوضعية، كذلك تبنى هذا الدستور القوانين الوضعية، ومن هذا الوقت والحلقة تدور على ما تعلمونه.

تاريخ تشريع القوانين الوضعية في شبه القارة الهندية:

في بقعة أخرى من العالم الإسلامي، في شبه القارة الهندية؛ شبه القارة الهندية كانت حتى دخول الاحتلال البريطاني، تحكم بالشريعة الإسلامية؛ فرغم أن الهندوس كانوا هم الأكثرية، إلا أن المسيطر والمهيمن على الحكم، كانوا المسلمين بفضل الله تعالى؛ إلا أن المسلمين انشغلوا بالدنيا، وأعرضوا عن الدعوة لدينهم؛ وكان ذلك نتيجةً لنشوء حكام ظلمة، لم يهتموا بقضية الدعوة، كما كان يهتم أجدادهم، كمحمود الغزنوي وغيره؛ مما أدّى لانحسار الدعوة الإسلامية، في نفوس المسلمين فقط، وعدم توجيهها لغير المسلمين.

فلما دخل الانجليز شبه القارة الهندية، قاموا في أول ما قاموا، بتنحية الشريعة الإسلامية كما هو معروف؛ وأحلوا محلها القوانين الانجليزية، وسلموا مقاليد الحكم للهندوس، حتى يحكموا البلاد والعباد؛ ولم يكتفوا بهذه الخطوة، بل قاموا بعد ذلك بسلسة من المؤامرات، لتقسيم شبه القارة الهندية إلى ثلاثة أقسام؛ باكستان، الهند، وبنجلاديش (باكستان الشرقية).

تاريخ تشريع القوانين الوضعية في شمال إفريقيا:

كذلك حصل نفس الأمر في شمال إفريقيا، كانت فرنسا تسيطر على شمال إفريقيا؛ الجزائر، وتونس، والمغرب.

ففي ظل فرنسا، تم تنحية الشريعة، وإحلال محلها القوانين الفرنسية الوضعية؛ وخرجت فرنسا، وتركت محلها احتلال، أخطر بكثير من الاحتلال الظاهري؛ أعطت الحكومة لعملاء، موالين بالدرجة الأولى للاحتلال الفرنسي، تم صنعهم في فرنسا؛ "ابن عرفة" ظل في قصر داخل باريس خمسة سنوات، ثم أُخرج من هذا القصر مباشرة بالطائرة، وأنزلوه في المغرب؛ وتم إعطاؤه الحكم، في ظل مراسيم واحتفالات دولية، فرنسا هي التي أعطته الحكم؛ وتم نفس الشيء في الجزائر وفي تونس، مع الاختلاف أن هذه الحكومات جمهورية وكان هذه النظام ملكي.

تاريخ تشريع القوانين الوضعية في المملكة السعودية:

في الجزيرة العربية، لم يعرف التشريع والتقنين بغير ما أنزل الله، إلا في عهد عبد العزيز؛ يقول صاحب كتاب "الوجيز في تاريخ القوانين العربية"، د. محرود عبد المجيد المغربي، في ص 443، وهو آخر الدولة السعودية د. محرود عبد المجيد المغربي د. محرود عبد المجيد المغربي – آخر دولة تكلم عنها –؛ وهو عقد فصلًا تحت عنوان "حركة التدوين والتشريع، في المملكة العربية السعودية" فقال:

"بعد أن كانت التشريعات في المملكة قديمًا إسلامية بسيطة؛ تغير هذا الوضع بعد قيام الدولة السعودية وظهور الثورات الطبيعية مما أدى إلى الإصلاح والتغيير ودخول عناصر جديدة في حياة أهل البلاد، فقامت الشركات الأجنبية وأصبحت لها إمتيازات خاصة، لهذه الأسباب كان لابد من مواجهة الحياة الجديدة بسن تشريعات تلائم الحاجات المستجدّة؛ فصدرت تشريعات في أصول المحاكمات فصدرت تشريعات في أصول المحاكمات، وتشريعات في القوانين التجارية والقوانين الجزائية، وتشريعات في العمل والعمال والجمارك وغيرها.... ويعتبر قانون التجارة البرية والبحرية المعروف في المملكة باسم النظام التجاري من أهم القوانين التجارية السعودية، وقد صدر هذا القانون سنة 1931م وهو على ضرار القوانين التجارية الحديثة عربية كانت أم أوروبية".

يقول: "بعد أن كانت التشريعات في المملكة قديمًا إسلامية بسيطة..."؛ وهذه العبارة يقصد بها، أن الشريعة أمر بدائي، وأنتم المسلمين مساكين غير متطورين، وتحكمون بأمور عجيبة كقطع اليد وهذه الأمور.

فيكمل ويقول: "بعد أن كانت التشريعات في المملكة قديمًا إسلامية بسيطة؛ تغير هذا الوضع بعد قيام الدولة السعودية"؛ يقصد دولة عبد العزيز، أي الدولة السعودية الثالثة.

يقول: "..لظهور الثورات الطبيعية"، النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليهم، استعملوها في كفرهم، بدلًا أن يزدادوا شكرًا؛ يقول: "تغير هذا الوضع، بعد قيام الدولة السعودية، وظهور الثورات الطبيعية؛ مما أدى إلى الإصلاح والتغيير، ودخول عناصر جديدة في حياة أهل البلد"؛ يقصد بالعناصر الجديدة: الكفرة من الدول والشركات الأجنبية، التي تهيمن على النفط؛ ففعلوا تمامًا كما فعل السلطان العثماني، مع الأوربيين في الامتيازات الأجنبية؛ فنفس الباب الذي ولج منه النصارى واليهود قديمًا، ولجوا منه في العصر الحديث، في أقدس بقاع المسلمين.

يقول: "... ودخول عناصر جديدة؛ فقامت الشركات الأجنبية، وأصبحت لها امتيازات خاصة" تمامًا كما حدث في الخلافة العثمانية؛ يقول الرجل في كلامٍ أخير: "لهذه الأسباب، كان لابد من مواجهة الحياة الجديدة؛ بسن تشريعات تلائم الحاجات المستجدّة"؛ يعني يقولون: يا إخوان، الحياة تطورت وتعقدت، ولا تغضبوا لن نسميها قوانين أو تشريعات؛ سنسميها أنظمة وأوامر، ولوائح ومصالح مرسلة. فهل تغيير اسم الباطل يجعله حق؟ هل إذا سميت الخمر بغير اسمها يجعلها حلالًا؟

يقول الرجل: "لهذه الأسباب كان الحياة الجديدة، بسن تشريعات تلائم الحاجات المستجدّة؛ فصدرت تشريعات في أصول المحاكمات، وتشريعات في القوانين التجارية والقوانين الجزائية – حتى قوانين العقوبات –، وتشريعات في تنظيم العمل والعمال والضرائب وغيرها..."، وظل يعدد؛ فهل هذه التشريعات، خارجة عن حكم الله ورسوله؟ وهل هذه هي التشريعات، التي أمرنا الله بها حتى نحكمها؟

ويقول عن القوانين الجارية: "ويعتبر قانون التجارة البرية والبحرية، المعروف في المملكة باسم النظام التجاري..."، يعني يخادعوننا فيقولوا لن نسميه قانون سنسميه نظام!

يكمل ويقول: "ويعتبر قانون التجارة البرية والبحرية، المعروف في المملكة باسم "النظام التجاري"، من أهم القوانين التجارية السعودية؛ وقد صدر هذا القانون سنة 1931م"؛ يعني في ظل عبد العزيز، "وهو على غرار القوانين التجارية الحديثة، عربية كانت أم أوروبية"، ما رأيكم في هذا التصريح؟ وهو جاء بهذا الكلام في معرض المدح.

(....) وصدر بناءً على هذا القانون (النظام التجاري)، مرسوم ملكي بإنشاء الغرفة التجارية؛ ونذكركم بكلام الشيخ محمد بن إبراهيم، الذي صدر بناءً على هذا القانون، فللشيخ كلام صرّح فيه، أنّ قانون الغرفة التجارية، كفر أكبر مخرج من الملة؛ ورسائله التي أرسلها لأمير البلاد وللديوان الملكي، مازالت حتى الآن مسطرة في مجموع فتاويه، وستأتي معنا – إن شاء الله –؛ (..) وهذه الرسائل المتبادلة، بينه وبين الديوان الملكي من جهة، وبين أمير البلاد من جهة، مازالت مسطرة حتى الآن في مجموع فتاوى الشيخ[15].

كذلك تكلم هذا الرجل، عن قانون الجزاء، فقال: "وقوانين الجزاء مستمدة من الشريعة، مع بعض التعديلات التي اقتضتها المصلحة العامة"؛ فاليهود فعلوا هكذا، كما قال تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)، اليهود حرفوا حدًا واحدًا –كما سيأتي معنا –، فكفرهم الله تعالى بتعطيلهم لهذا الحد. (..).

ثم تكلم عن قانون الضرائب ومراقبة البنوك، وقانون الجنسية، الذي فيه تحريم لما أحل الله؛ فبأي حق يحرمون ما أحل الله، وهذا لم يفعله الأولون.

فهذه كانت نبذة، عن التشريع بغير ما أنزل الله، في جملة الديار الإسلامية؛ ونختم بمقولة لطيفة جدًا، للشيخ جمال سلطان، في كتابه (غزو من الداخل) – وهذا الكتاب حري بالقراءة –، يقول الشيخ في الصفحة 3 في مقدمة الكتاب؛ واستمع لهذه العبارات، وقارنها ووازنها بتلك الكلمات، التي نقلناها لكم عن دور أهل التوراة والإنجيل.

يقول الشيخ: "علمنا القرآن المجيد، وأخبرنا التاريخ؛ أن أخطر أسلحة الهدم والغزو، ضد الإسلام على مدار تاريخه، كان سلاح الهدم من الداخل؛ ومع فشل الخيار العسكري، في الصراع ضد الإسلام، وفشل المحاولات المتعددة، لفرض السيطرة العسكرية؛ قفزت الفكرة كسلاح أول وحاسم وفعال، ومن هنا اتجه التفكري إلى أسلوب جديد، لا يأتي من الخارج، بل يأتي من داخل الأمة نفسها؛ عن طريق نفر من أبناءها، يحملون الأسماء الإسلامية، ويحملون أيضًا

[15] يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: ".. فتح باب لتحكيم القوانين الوضعية واستبدال الشريعة الإسلامية السمحاء بها، وهذا ما يأباه إمام المسلمين حفظه الله، ويأباه كل مسلم صادق في إسلامه، لأنه بحكم غير الشريعة بين الناس معناه الكفر والخروج من السلّم والعياذ بالله." (فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (269/12) رقم الفتوى: 4044).

بطاقات هوية عربية وإسلامية؛ ليغرسوا في ناشئة الأمة، قيم الحضارة الغربية، وفلسفاتها وعقائدها وأفكارها وحب شرائعها".

يقول الشيخ: "**علمنا القرآن المجيد، وأخبرنا التاريخ؛ أن أخطر أسلحة الهدم والغزو، ضد الإسلام على مدار تاريخه، كان سلاح الهدم من الداخل، ومع فشل الخيار العسكري في الصراع ضد الإسلام**.." لم يستطع اليهود ولا النصارى، أن يقضوا على الإسلام عسكريًا؛ بل ليس هناك مواجهة، إلا واجهوا فيها الهزيمة النكراء، إما في البداية وإما في النهاية، حتى ولو كانت البداية هزيمة للمسلمين؛ إلا أنهم يعودوا ويقفوا على أرجلهم، ثم يحرزوا هزيمة على اليهود أو النصارى، على مدار تاريخ الحملات الصليبية، كما سيأتي معنا.

يقول: "**ومع فشل الخيار العسكري، في الصراع ضد الإسلام، وفشل المحاولات المتعددة، لفرض السيطرة العسكرية**" –لا بد من وجود خيار آخر، ولا بد من وجود طابور خامس (..)– " **قفزت الفكرة كسلاح أول وحاسم وفعال**" وليس هناك أخطر من الفكرة؛ وليس هناك من الشبه العقدية، الكفيلة بهزيمة المسلمين تمامًا؛ يظل اليهود والنصارى بمنأى عن الصراع، حتى يتكلف المسلمين خسارة فادحة، في الأموال والأنفس؛ ويقومون بترويج الفكرة التي يريدونها، ويتم نشر الفكرة عن طريق عملاء وطابور خامس، والفكرة كفيلة بهزم أي أمة؛ ولولا أن الله تكفل لهذه الأمة، بحفظ دينها لقضوا عليها تمامًا، ولكن هذا الدين له قوة ذاتية؛ قد تقوى وتنقص، (..)لا يستطيع أي إنسان مهما كان، أن يتحدث باسم الإسلام.

"**قامت الفكرة كسلاح أول وحاسم وفعال؛ ومن هنا اتجه التفكير إلى أسلوب جديد، لا يأتي من الخارج، بل يأتي من داخل الأمة نفسها**" –كما هو اسم الكتاب "غزو من الداخل"– "**عن طريق نفر من أبناءها، يحملون الأسماء الإسلامية، ويحملون أيضًا بطاقات هوية، عربية وإسلامية**" نفر من بين جلدتنا، يتكلمون لغتنا، أسماؤهم؛ حسني مبارك، حسين، علي عبد الله صالح، وهذا الصنف الأول، وما بعدهم أخطر؛ وهؤلاء أمرهم معروف، إلا على من طمس الله على بصيرته، كما يقول الشيخ الشنقيطي، (..).

يقول الشيخ: "..**عن طريق نفر من أبنائها، يحملون الأسماء الإسلامية، ويحملون أيضًا بطاقات هوية عربية وإسلامية؛ ليغرسوا في ناشئة الأمة، قيم الحضارة الغربية وفلسفاتها، وعقائدها وأفكارها، وحب شرائعها**

كذلك" وهذا الذي حصل الآن، إما بالترغيب وإما بالترهيب، الآن هل يستطيع أحد في بلادنا الإسلامية، أن يمتنع عن التحاكم لهذه القوانين؟ بل هذا عندهم جريمة!!!

من ضمن المواد شديدة الخبث "لا جريمة إلا بنص"، فالكفر بالأديان وسب الله وسب رسوله، ليس جريمةً عندهم؛ وعندما نتكلم عن التنصير، سنأتي إلى المواد المكتوبة في بلادنا، والتي تبيح علانية الكفر والردة؛ وسنأتي إلى آخر تلك الحوادث (حسين قنبر)، الذي ذهب إلى المحكمة، وأعلن صراحةً ردته، ودخوله في النصرانية، وغير اسمه من "حسن قنبر" إلى "روبر"، ولم يستطع أحد أن يتكلم معه؛ ولما تكلم بعض الدعاة، قامت السفارة البريطانية بالتنبيه، وتوجيه تصريح شديد اللهجة، إلى الحكومة الكويتية؛ فردت الحكومة أننا لم نفعل هل الشيء، وأننا كذا وكذا، وأصبحوا يدافعون عنه، ردة واضحة.

نقول هذه هي الطريقة الحديثة، التي اتجه إليها الإستعمار، في غزو الديار الإسلامية؛ ليس الغزو العسكري، وإنما الغزو الفكري، بعد فشل الخيار العسكري.

بهذا نكون – ولله الحمد والمنة – قد انتهينا، من المفردة الأولى، من مفردات موضوع الحاكمية؛ والتي كانت حول نبذة تاريخية، عن الحكم بغير ما أنزل الله، وبقيت تتمة لهذه المفردة، وهي حتمية المواجهة؛ و – إن شاء الله – هذه نرجئها للدرس القادم . (...)

الملخص:–

[تكلمنا على أن البشرية، أول ما عرفت عرفت التحاكم إلى شرع الله، وسنة الأنبياء والمرسلين؛ وظلت على التحاكم لشريعة الله، ردحًا طويلًا من الزمن؛ كما في أثر ابن عباس، أنها ظلت على التوحيد لمدة 10 قرون؛ وقلنا أن هذا القول، خلافًا لمزاعم وخرافات العلمانيين، والملحدين ودعاة الضلالة؛ الذين قالوا أن البشرية أول ما عرفت، عرفت التحاكم إلى العادات والتقاليد، وأقوال شيوخ البدو وأعرافهم.

ثم قلنا أن البشرية انقسمت، بعد هذه القرون العشرة إلى فريقين، بالنسبة إلى موضوع الحاكمية؛ فريق الأنبياء والمرسلين والصالحين، وفريق عبدة الطواغيت؛ مع اختلاف صور الطواغيت؛ أصنامًا، أوثانًا، حجارةً، كواكبًا، بشرًا، عبدت على مدار التاريخ من دون الله؛ واتخذت أقوالهم وأفعالهم تشريعًا، يعبّد إليه الناس قهرًا، كما هي الصورة التي نعيشها اليوم.

ثم قسمنا العلم، في مسألة التحاكم بغير ما أنزل الله، إلى ثلاثة عصور؛ العصر القديم: والذي كان يتميز بتلك التشريعات البدائية، وقلنا أن أشهرها تشريعات حمورابي؛ ثم العصر الوسيط: والذي كان يتميز بسيادة الامبراطورية الرومانية، وقلنا أن أشهر التشريعات الوضعية في العصر الوسيط "تشريعات جستنيان"، والتي عرفت بالقانون الروماني؛ ثم تكلمنا عن العصر الحديث: وقلنا أن العصر الحديث شهد انقلابًا في التاريخ التشريعي، هذا الإنقلاب تزامن مع الثورة الفرنسية؛ والتي كانت سببًا رئيسيًا في تحطيم سلطة الكنيسة، أي إلى تحطيم الدين، فالكنيسة في أوربا، كانت ترمز إلى الدين في ذلك الوقت.

ونقول: بالفعل تم القضاء على الكنيسة النصرانية قضاءً مبرمًا، واستبدلت الكنيسة وتشريعاتها بالقوانين الوضعية؛ فكانت العلمانية والديموقراطية في أول ظهورهما، وقلنا أن لكلا الأثرين عمقٌ في الأمة الإسلامية؛ خاصة الديموقراطية، فالعلمانية وإن كانت انكشفت، لكثير من الناس – ولله الحمد –؛ فما زالت الديموقراطية، تغطي ببريقها الخادع، أعين بعض الجاهلين من المسلمين.]

*[ورأينا كيف أن الباب، الذي ولجت منه تلك التشريعات الوضعية – على التحقيق –، كان هو الباب الذي انصرمت فيه عقيدة الولاء والبراء؛ فإنصرام هذه العقيدة، التي هي من أصل الإيمان، أدى إلى تسرب تلك الأحكام الطاغوتية. ثم رأينا كيف أن المسألة، من أولها إلى آخرها تخضع لمؤامرة، يشرف عليها اليهود والنصارى، وتشارك فيها الأنظمة الحاكمة؛ وبهذا نكون – ولله الحمد والمنة –، قد انتهينا من المفردة الأولى، من مفردات موضوع الحاكمية؛ والتي كانت حول نبذة تاريخية، عن الحكم بغير ما أنزل الله؛ وبقيت تتمة لهذه المفردة، وهي حتمية المواجهة، ونعني بحتمية المواجهة: أنهما خطان لا يلتقيان، عقلاً وقبلها شرعا؛ هما شرع الله، وشرع البشر، وإن شاء الله هذه نرجئها للدرس القادم].

الملحق

جنِّي شِيعِي في مُعسْكر الجِهَاد [16]

هذه القصة فيها من العِبَر الشيء الكثير وفيها من الفوائد الشيء العظيم –خاصةً لكم– فهي ليس فيها بشرى واحدة ولكن فيها عدَّة بشارات، فيها والله جُملة من البشارات أرسلها الله لكم.

وكما تعرفون أخوكم ابتلاه الله –سبحانه وتعالى– بجنيٍّ مَسَّه ودخل فيه، ولو أردنا أن نستعرض ما في هذه القصة من فوائد لاحتجنا لعدة جلسات.

أول درس وأول فائدة–:

–نحن في الأصل لا نحتاج إلى أي بيِّنة أو إلى أي دليل على صِدق هذا الدين؛ فنحن نكتفي بأعظم بيِّنة وبأعظم حُجَّة أقامها الله على عباده ألا وهي القرآن الكريم ثم السنة النبويِّة، فنحن كمسلمون ليس لدينا أدنى شك في هذه القضية، تكفينا حُجَّة الله على عبادة، القرآن الكريم ثم السنة النبويِّة، ولكن هناك إشارات يرسلها الله –عز وجل–؛ حتى يزيد عباده المؤمنين إيمانًا على إيمانهم ويزيدهم تثبيتًا على ثباتهم.

فهذه الحادثة كانت من الإشارات التي أرسلها الله لكم خاصة.

–الفائدة الثانية، –وقد كررناها لكم أكثر من مرة– أنتم وحدكم المستَهدفون من الصراع، والله أنتم لا تعرفون قيمة أنفسكم حاليًا، الأمة تنتظركم بمُنتهى الشراهة، ليس لهذه الأمة بعد الله –سبحانه وتعالى– إلا أنتم، ليس لهذه القضية ولهذا العار ولهذا الذُل الذي نحن فيه –بعد الله سبحانه وتعالى– إلا أنتم، والله أنتم لا تعرفون قيمة أنفسكم وهذا من الغفلة عن هذا الدين ومن الغفلة عن قيمة أنفسكم، فضع نفسك في موضعها، فوالله يا شباب حتى الجن يعرفون قدركم.

---

[16] قصة رواها الشيخ في بداية السلسلة.

والله الجن يعرفون حقيقة الصراع وبعض الإخوة لا يعرفون حقيقة الصراع! هذا الجن الذي خرج (...)، يفهم والله الصراع أفضل من بعض الإخوة، فهذه الحرب هي حرب عقائدية صَرْفة وهو نفسه قال هكذا، قال: "يحاربونكم؛ لأنكم مجاهدون وفي نفس الوقت يتركون أدعياء السلفية" فوالله هذا كلامه بلسانه وكان الإخوة شهود، فهي والله حرب عقائدية فحتى الجن يحاربونكم حرب عقائدية، فهذه والله بشارة أرسلها الله –سبحانه وتعالى– على لسان هذا الجني، وكلها خير خاصة للأخ.

نقول أولًا: أن الله –عز وجل– وحده هو الذي أخرج هذا الجني، بفضل الله –سبحانه– أولًا وآخرًا وبفضل هذا القرآن الكريم.

وتبدأ القصة من قرناء السوء وأصدقاء السوء، هذا الجن أُرسل بسحر فعل لأخيكم، لماذا فُعِل له؟

لأنه الْتزم وصار من المجاهدين فقط ليس إلا! والذين فعلوه له هم أصدقاء السوء، والناس الذين كانوا يعرفونه والذين كانوا معه من أيام الجاهلية، فعندما الْتزم وأصبح من المجاهدين وجاء إلى هذا الأرض عَقَدُوا عليه؛ حسدًا من عند أنفسهم، فهم والله لا يقاتلوكم ولا يحاربونكم إلا حسدًا على هذا الدين؛ حتى يردُّونكم على أعقابكم، يريدونكم أن تكونوا أمثالهم، هذه هي القضيَّة فقط، يريدونكم أن تتنازلوا عن هذه العقيدة التي أكرمكم الله بها ولا يريدون منكم شيء من الدنيا، يريدون أن يردونكم على أعقابكم خاسرين، فالجني قال هكذا قال: "عندما الْتزم هذا الأخ وجاء إلى هذه الأرض عقدوا عليه وأرادوا أن يكيدوا له؛ حتى يُرجعوه لأيام الجاهلية فصنعوا له سحرًا، وأرسلوا هذا الجن حتى يدخل فيه ليفتنه في دينه، فجئتُ حتى أردُّه على أعقابه خاسرا" –عياذًا بالله– هذه واحدة.

النقطة الثانية، أن هذا الجني كان جنيًا شيعيًا من الشيعة الوثنيين؛ حتى تعرفوا أهمية الدروس التي نُلقيها، وحتى تعرفوا أن المسألة ليست مسألة سَمر، والله ما عقدنا –هذه الدروس– للسمر؛ ولكن حتى تزدادوا أنتم قناعة، وحتى تعرفوا أن الحرب عقائدية، فهؤلاء هم الشيعة الذين ظلَلْنا شهورًا نتكلم عنهم.

قال الجني الشيعي: "أرسلني الشيعة كيدًا لأهل السنة "وقال أنه من الفرقة (..) وهي من أخبث فرقهم، والْتزم على مذهبهم من أربعة شهور وصار طالبًا للعلم على مذهبهم، وتكلم كلام كثير، قال: "أرسَلوني من مُنطلق عقائدي؛ لأنه

عندنا في عقيدتنا أن من آذى سنيًا فقد صافح عليًا" فهم يُؤلِّهون عليًا وقال: "نحن نعتقد أن النبوة كانت لعَلِيّ في الأصل إلا أن جبريل خان الأمانة –عياذًا بالله– وأعطاها لمحمد؛ لأنه كان صديقه"، وقال: "أنا الآن عرفتُ الحق"

فهذه واحدة أن الذين أرسلوه شيعة، وثانيًا أنهم كانوا يعرفونه في الجاهلية فأرادوا أن يفتنوه في دينه.

النقطة الثالثة، تكلَّم عن أدعياء الدعوة السلفية وقال: "هؤلاء أول ما يحارب المجاهدين"، وقال –والعُهدة عليه–: "أنا سمعتهم بنفسي يَسُبُّون المجاهدين ويُخبِرُون المخابرات عن أماكنهم"، وقال: "والشيخ فلان والشيخ فلان –وذكر الأسماء– من أكثر الناس حربًا للمجاهدين ويكيدون لهم، وأنا سمعتُ الشيخ فلان بنفسي يقول: هؤلاء المجاهدون جَهَلة حمقى ألقوا بأنفسهم في التَّهْلُكة"

وأنا سألته: ما الفرق بيننا وبينهم؟ قال : "هؤلاء يريدون الدنيا وكل ما يفعلون من أجل الدنيا، أما أنتم فتركتم الدنيا لله"

ووالله قال هكذا ونسأل الله الإخلاص.

النقطة الرابعة، أن السبب الرئيسي بعد الله –سبحانه وتعالى– في خروجه وفي هدايته أنه تأثر بكم، وهو الآن صار من إخواننا، دخل في دين الله –سبحانه وتعالى– وتبرَّأ من مذهبه القديم، وهذه آخر بشارة أنقلها لكم. قال: "السبب الرئيسي في هدايته بعد الله –عز وجل– أنه تأثر بكم"

والله قال هكذا.

قال: "لأنني تأثرتُ بهؤلاء الشباب لما لمستُ فيهم من صدق ومن إخلاص"

وقال "أنا ذُهِلت! الصورة التي كانت عندي عنكم صورة بغيضة، أنكم إرهابيون وأنكم مجرمون وأنكم كذا وأنكم تُخربون الناس، وعندما جئتُ فوجئتُ ولم أستطع أن أتحمل"

وهو ثلاث أيام فقط ولله الحمد خرج، وأول كلمة قالها قال: "أنا يئستُ منكم، وفوجئتُ بصاعقة من الإيمان"

وقال: "هؤلاء الشباب فيهم من الخير الشيء الكثير جدًا"، قال: ما شاء الله يُكبِّرون ويُهللون، وكادوا يحرقونني بالقرآن الكريم، وفي كل مكان أسمع تكبير وتهليل وكذا"

وقال: "هؤلاء المجاهدون والله من أفضل خلق الله" تزكية عالية لكم، ونحن لا ننتظر تزكيته فنحن عندنا قناعة في ديننا، ولكن هذه إشارة -كما قلنا لكم-؛ حتى تعرفوا قيمة ما أنتم فيه، فإياكم أن تُبدِّلوا أو تُغيِّروا واعرفوا قيمة أنفسكم، والله إني لكم ناصح أمين فإياكم أن تغترُّوا بأي شيطان من شياطين الإنس أو الجن، والله ستندمون وقت لا ينفع الندم.

الجن يفهمون حقيقة الصراع ويفهمون ويُقدِّرون ما أنتم فيه من الخير، فيا شباب، اتقوا الله في أنفسكم وأوصيكم بالإسلام خيرًا.

وهو نفسه يقول: "كل الناس تحاربهم، الآن يكيدون لهم في الجزيرة، ولا يكيدون إلا للمجاهدين"

لا يكيدون لكم إلا لأجل هذا الدين الذي أنتم فيه، فاتقوا الله في أنفسكم (...)، أنتم والله في خير تحسدكم عليه الجن قبل الإنس.

وقال: "أول ما سأفعله بعد أن أرجع وأتعلم الدين الحق أن أهاجر كما هاجرتم"، والله قال هكذا، وقلتُ له: ألا تفكر في الجهاد؟ فأجابني إجابة عجيبة جدًا، قال: "كيف لا أفكر في الجهاد؟ أنا تأثرت بكم جدًا"

وقال لي: "أنا أريد أن أسألك سؤال، ما معنى هذا الكلام الذي سمعته أن الشهيد لا يجد من القتل إلا كمس القرصة"

والله سألني هذا السؤال! فأصبحَت عنده عقيدة واضحة وانتَهت ولم تصبح عنده شبهات ودلالات وحوارات، هذه عندنا نحن فقط، فنحن "تعبانين والله" أما هو فسمع القرآن فتأثر به.

وقال: "كدتُ أن أحترق عندما قرأ علي الأخ سورة البقرة، فعرفتُ أن القرآن حق وأن هذا الدين حق وأن هذا الطريق حق، والآن لا أُبدِّل ولا أترك هذا الطريق حتى ألقى الله"

القضية احتاجت ثلاث أيام فقط ولم يحتاج أن تُحضَّر له كتب ودراسات، والله ليسوا هكذا، هذه حالنا نحن فما في قلوبنا؟! فعلى الإنسان أن يتقي الله في نفسه ويعرف قيمة نفسه.

من البشارات الآخرى التي قالها، أنا سألته وقلتُ: (....) فقال: هذه كانت بفعل فاعل (...) يرتدون العمائم السوداء، والله قال هكذا، وقال: "دائما يهللون ويكبرون، ولهم حراسة وقت الصلاة، وأنا رأيتهم بنفسي يحرسونهم وقت الصلاة في كامل عداتهم وأسلحتهم، وأنا رأيتهم وخفتُ منهم فتأثرتُ وخفتُ أن أقترب منهم"

فهذه كرامات أرسلها الله لكم؛ حتى تَثبتوا على هذا الطريق، وحتى لا تغتروا بأيٍ كان مهما كان.

وأنا سألته: هل رآك أحد منهم؟

فقال: "لا أعلم، لكني كنتُ أتوارى منهم ولا أعلم هل أحد منهم رآني أم لا، ولكن أظن أن أحدًا رآني" فهذه بشرى لكم.

وتكلم أيضًا عن أدعياء السلفية وقال أنهم يسبون الشيخين سلمان وسفر، وذكَرهم بالاسم هكذا والله، (..)

فقلتُ له: رأيك هل تستطيع أن تقول لي ما هو الفرق بيننا وبينهم؟

فقال: "هؤلاء يريدون الدنيا، وأنا بعقلي أستطيع أن أُميز بدون علم أو شيء، فهناك فرق كبير بين إنسان يدخل السجن من أجل دينه وبين إنسان يجلس في الظل تحت المكيفات ويريد الدنيا"

وهذا أمر واضح بالفطرة لا يحتاج إلى دليل ومناقشة ورد على الشُّبُهات

وقال: "والله أنا لم أكن على الحق ولكن بعقلي أُميز، فرق بين من دخل السجن من أجل دينه وبين من يجلس في الخارج في الدنيا والشهوات." والله قال هكذا

وقلتُ له: ماذا تعرف عن المجاهدين؟

فقال لي: " والله أنا أظنهم أفضل خلق الله، وأنا ما جعلني أهتدي وألتزم إلا تأثري بهم"

وهو بالمناسبة رجع؛ من أجل أن يدخل في دين الله بالحق، وهو من النوع الطيَّار، وهذا من أخطر الأنواع الذي يذهب ويأتي، وقال: "أنا رجعتُ حتى أدخل في دينكم، وأنا أريد أن أسلم الإسلام الصحيح على أيديكم"

والله قال هكذا، فلله الحمد أسلم وأعطانا العهود والمواثيق أن لا يُغيِّر ولا يُبدِّل حتى يلقى الله، وهو من المدينة من باب العوالي.(..)

وتكلم كلام كثير عن الشيعة وقال: "أنا أريد أن أتعرَّف على مذهب أهل السنة"

فشرحتُ له مذهب أهل السنة، ونسأل الله أن يكون سلفيًا، وقلتُ له: لا تتَّبع أحدًا إلا بدليل من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

والعجيب يا إخواني أن هذا الجني يعرف عقيدة الولاء والبراء، قلتُ له: ماذا سيكون موقفك من أهلك؟

وهو من أبوين شيعيين فقال لي: "أنا أول ما أذهب أدعوهم فإذا أصرُّوا أهجرهم"

فقلتُ له: وتعاديهم وتُنابزهم؟

قال: "وأعاديهم وأنابزهم"

وقلتُ له: هل تعرف أنه لا يكتمل إيمانك إلا بالولاء والبراء؟

فقال لي: "أنا سمعتك في الدرس تتكلم عن الولاء والبراء"

فقلتُ له: ما هو الولاء والبراء؟

فقال لي: "أن تكره في الله وتحب في الله"

وقال لي: "وأنت في أول جلسة قرأتَ علي سألتني: هل اليهود كفار؟ فقلت لك: كفار. وسألتني: هل النصارى كفار؟ فقلت لك: كفار. وقلتَ لي: الطواغيت كفار؟ والآن أقول لك: نعم هم الطواغيت كفار.

فقلتُ له: احفظ عقيدة الولاء والبراء، وكما كنتَ تحارب أهل السنة فالآن تواليهم وتناصرهم وتساعدهم، (...) وقال: "هناك شيخ اسمه الغنيمان عنده حلقات في بريدة وهذا الشيخ كنتُ أتأثر بكلامه حتى عندما كنتُ على مذهبي الشيعي"

فقلت له: كيف تتأثر بكلام الشيخ وأنت شيعي؟

فقال: "يا أخي، أنا كنتُ أشعر من كلامه أنه صادق رغم أنه كان يتكلم كثيرًا عن الشيعة إلا أنني كنتُ أشعر من كلامه أنه صادق، والشيخ الآن في بريدة وهناك حلقة من الجن يدرسون عنده وعند تلامذته فعندما أرجع سأنضم إليهم"

وسألته: ما العلاقة بينكم وبين اليهود؟

فقال لي: "نحن نشبه اليهود من أربعين وجه"

فقلتُ له: أنتم لا تشبهون اليهود من أربعين وجه بل أنتم اليهود، واليهود أنتم.

فقال لي: "صحيح"

وقال لي بنفسه: "نحن من عقيدتنا أننا سنُنشئ دولة كبرى من الفرات إلى النيل تجمعنا نحن وهم، ونحن ننتظر المسيح الدجال ونحن نسميه النون الفاتح، وهو سيكون مليكنا نحن واليهود"

فقلتُ له: ما أوصاف المسيح الدجال؟

فقال: "عندكم تقولون عنه أنه أعور وأنه يأتي على حمار وأنه قبيح الهيئة وأنه كذا وكذا، أما علماؤنا وشيوخنا فيقولون أن هذا الكلام تحريفٌ منكم وكذب منكم، فعندنا هو حسن الهيئة جميل الصورة وشعره كذا وكذا"

فقلتُ له: ما رأيك في هذا الكلام؟

فقال لي: "هذا الكلام كله باطل، وأنا الآن أيقنتُ أنهم من أهل الضلالة وأنهم من أهل الكفر والنفاق وأنهم ليسوا على شيء، وليس هذا إلا بفضل الله –تعالى– وحده، وبهذا القرآن وبتأثري بهؤلاء الشباب، فأنا تأثرتُ بهؤلاء الشباب؛ ولذلك جئتُ حتى أدخل في دين الله الحق"

وقال: "عندما كنتم تقرؤون علي بشدة، كنتُ أخرج من رجله اليسرى وأصعد فوق الجبال، وعندما يكون وحده أرجع. وتجولتُ في المعسكر ورأيتُ الإخوة يُنشدون والإخوة يُرددون، وكان هناك وليمة، وبعد الطعام سمعتُ أحد الأخوة يقول : (...)

وسألني عن هذا المعنى، من قال هذا الكلام؟

الشباب يجيبون الشيخ: حذيفة.

فقال لي اشرح هذا الكلام، فشرحته وقلتُ له هذا حديث النبي –عليه الصلاة والسلام– ومعناه كذا، فقال لي: "هذا اللهج لا يقوله إلا مسلمي الجن أما نحن فلا نقوله"

فقلتُ له: أنتم تعرفون أنكم مدَّعي الإسلام، ولستم من الإسلام في شيء.

قال: "الآن عرفت، والقرآن فقط كفاني، نحن كنا نقول أن القرآن مكذوب ومُحرَّف وليس من عند الله –تعالى– وبمجرد أن سمعته وتأثرتُ به وكدتُ أن أحترق عرفتُ أنه الحق"

وقال: "عندما قرأ القرآن كدتُ أن أحترق خاصة عندما قرأ علي الأخ سورة البقرة، فعندما وصل إلى آية الكرسي وصلتُ إلى المنتهى وأيقنتُ أن هذا دين الحق وأن هذا طريق الحق وأنتم من أفضل الناس"

هنا أحد الحضور يسأل سؤال

هو كان يخرج ويرجع، وعلَّمنا بعض الأمور، وسألناه: كيف نعرف إذا خرج الجني؟

فقال: "إذا خرج الجني بلا عودة يخرج من رجله اليمنى، أما إذا خرج من اليسرى فيرجع ويخرج، فإذا أردتَ أن تُخرج الجني نهائيًا فاشترط عليه أن يخرج من اليمنى"

وهو بالفعل في هذا آخر جلسة خرج من اليمنى لأول مرة، وقبلها كان يخرج من اليسرى.

أحد الشباب يسأل الشيخ سؤال غير واضح

يتعامل مع الجن وله ساحر مشهور جدًا يجلس في مكة، ومن الطائف...

أحد الشباب يسأل الشيخ سؤال غير واضح

وهذا الجني بالنسبة لعمر الجان يعتبر صغير جدًا، حتى أنني قلتُ له: أنت صغير؟ فقال" نعم أنا صغير"

والله أعلم الْتمسنا فيه الصدق وندعوا له، وقلتُ له: نحن إن شاء الله ندعوا لك وأنت اجتهد في الدعاء أن يُثبِّتك على هذا الطريق حتى تلقاه غير مبدل ولا مغير.

وهو كان اسمه عباس فغير اسمه فتسمَّى أحمد قال: "لأنه اسم النبي –عليه الصلاة والسلام– ومذكور في التوراة والإنجيل والقرآن"

وقلتُ له: ولكن نحن نُكنِّيك، (..) من السنة أن يكون لديك كُنْية، ونحن غيظًا للشيعة نُكنِّيك أبا بكر.

فقال لي: "نعم أنا أبو بكر"

في البداية كان يسألني عن أبي بكر وعائشة وعن المصائب التي عند الشيعة، ونحن بحمد الله قطعنا عنه هذه الأمور وأفهمناه الحق، فقلتُ له نُكنِّيك أبا بكر غيظًا في الشيعة حتى تذهب لهم وتُغيظهم.

وسألته: هل تجولتَ كثيرًا؟

فقال لي: "أنا لم أتجول كثيرًا"

وسألته: هل ذهبتَ لبريدة؟

فقال: "لم أذهب لبريدة، ومرة واحدة فقط ذهبت إلى إيران؛ كان عندنا اجتماع هناك" وقال لي: عندنا معسكر لجنيي الشيعة في العراق.

وهو يتكلم باللغة العربية الفصحى، فسألته –وكان الإخوة حاضرين–: أين تعلمتَ هذه اللغة؟

فقال لي: "الشيعة يقولون تَعلُّم العربية من الإيمان، ولو حضرتَ مجالسنا لوجدتَ أننا أفصح منكم"

فقلتُ له: نحن أفصح منكم

فقال لي "نعم؛ لأن القرآن بلغتكم (..) ."

وتكلم معنا كثيرًا عن عداء الشيعة لأهل السنة وأنهم يكيدون لهم ليلًا ونهارًا، (..) وتكلم عن المشابهة بين الشيعة واليهود، وهو كان يتكلم معنا ويريد منا أن نلتمس له العذر فقال: "نحن تربينا على هذه التربية، أنكم أهل ضلال وكُفر وأن دينكم مُحرَّف وكذا، ونحن على الحق"

فقلتُ له: كيف كان يربيكم أبوك وأمك؟

فقال لي: "عندما كنتُ أجوع وأطلب الطعام من أمي (..) فأرجع حتى آخذ الطعام فلا أجد طعام، فأظل أصرخ وأبكي وأقول لأمي أريد الطعام

فتقول: الطعام أخذوه

فأقول: من أخذ الطعام؟

فتقول: عائشة

وأقول لها: من أرْجَع الطعام؟

فتقول لي: علي

فتقول لي: ألِّه علي

فأظل أؤلِّه علي"

فقلتُ: هل تعرف أن هذا شرك أكبر من دون الله؟

فقال لي: "أنا لم أكن أعرف شيء"

فالحمد لله أن هداه (..) .

وأهم شيء –كما قلتُ لكم– هو أنه تأثر بكم كثيرًا، وقال: "هؤلاء المجاهدون من أفضل الناس، إن شاء الله عندما أرجع وأتعلم الدين سأهاجر كما هاجرتم"

(..) وهو ذهب حتى يتعلم أمور دينه؛ لأنه لا يعرف شيء عن دينه، ونحن نصحناه أن يفعل هكذا؛ لأنه لا يعرف أمور دينه، فنحن ركزْنا على أنه يحتاج تجمع ليتعلم أمور دينه، ونحن شرطنا عليه أن يتعلم على يد طلبة الشيخ الغنيمان، هو نفسه قال هذا.

طبعًا هذا الكلام ماذا يعني؟ يعني أننا نوصيكم ونحثُّكم على أن تزدادوا تمسُّكًا وعلاقةً بكتاب ربكم، حفظًا وتلاوةً وعملًا، ولا تقبلوا أن تهجروا كتاب ربكم فهو الحصن الحصين، وليس للإنسان بعد الله -سبحانه وتعالى- إلى كتاب ربه حافظًا ومُنجيًا، فهذه والله عبرة.

فنوصيكم بكتاب الله -عز وجل- حفظًا وتلاوةً وعملاً، فاتقوا الله، اتقوا الله، فبَيْن أيديكم والله سلعة لا تفرطوا فيها، أنتم على خير يحسدكم عليه الجن قبل الإنس، وما يكيد لكم الجن والإنس إلا على هذا الدين، فأنتم لستم في حرب مع الإنس فقط فحتى شيعة الجن يحاربونكم (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) وليس لهذه الحرب إلا هذا الهدف، يريدوا أن يخرجونكم من هذا الطريق، طريق الجهاد، الذي هداكم الله إليه والذي لن تعود هذه الأمة إلى سابق عهدها إلا بالجهاد وكلكم يعرف هذا.

والله وأكرر لكم ليس لهذا الأمة بعد الله -سبحانه وتعالى- إلا أنتم، والله إن مسؤوليتكم أمام الله -عز وجل- مسؤولية عظيمة، أنكم عرفتم الحق، مسؤوليتكم أمام المولى -سبحانه وتعالى- أعظم ما تكون، فاتقوا الله في أنفسكم وقدِّروا أنفسكم قدرها، اعلم أن لك قيمة أعظم ما تكون، يعني أعداؤكم من الإنس والجن يقدرون قدركم، فلماذا تُفرِّط من قدرك يا أخي، أنت لك منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة إن شاء الله، فلماذا ترضى بالذل؟

من النُّكات أننا سألنا: هل يؤثر فيك الضرب؟

فقال: "يؤثر فيّ كثيرًا، أقل ضربة تأثر فيّ، إذا ذكرتم اسم الله وضربتموني في أي مكان يؤثر فيني"

فقلت له: هل هناك مكان خاص؟

قال لي: "أي مكان يؤثر فيني، وأحد الإخوة -سليمان- كان يضربني بشدة"

فقلت له: هذا "كنشي"

فقال: وما معنى كنشي؟

قلت له: بدوي.(..) .

سألناه يا شباب عن تفجير الخبر وتفجير الرياض، فقال: "أنا لم أذهب هناك، فأنا أجلس في المدينة ولا أتجول كثيرًا، ولكن سمعتُ الجن يتكلمون فقالوا: أنهم لم يُعدموا أربعة بل أعدموا ثلاث من الإخوة الأربعة"

فقلت له: والرابع أين ذهب؟

قال لي: "الرابع قُتل في التعذيب"

فقلت له: الهاجري؟

فقال لي: "أنا لا أعرف اسمه، ولكن الذي أعرفه أن هذا أمر متواتر عندنا، أنهم أعدموا ثلاثة وأتوا بواحد رابع غيرهم، أما الرابع فقُتل في التعذيب. (..) "

فقلتُ له: من قام بتفجير الخبر؟

فقال لي: "أنا لا أعرف" وهو لا يتجول فهو صغير. وقال: "هم كتبوا في الصحف أنهم شيعة وأنهم 6 من الشيعة الكويتيين" فقلتُ له: هل هذا الكلام صحيح؟

فقال لي "والله لا أدري (..) "

وكنتُ أريد أن أسأله سؤال مهم ولكن لم أتذكر، كنتُ أريد أن أسأله عن اليهود في المدينة، وهل هناك يهود في المدينة؟

(..) أحد الإخوة كتب لي ورقة يقول: اسأله عن الطالبان.

فقلتُ له: هل تعرف عن أحداث أفغانستان؟

فقال: "أنا لم أخرج من هذا المعسكر ولا أعرف أحداث أفغانستان"

وهو متأثر جدا بكم والله، وهو -على فكرة- رجع؛ حتى يدخل في الدين، فهو رجع بنفسه تأثُّرًا بالقرآن وتأثُّرًا بكم، فهو رجع بنفسه، وهذا الأمر ليس منا فلا تظنوا أننا فعلنا شيء، وقال: "أنا رجعتُ حتى أدخل في دين الله -تعالى- على أيديكم" وهذه من البشارات بل هي جُمَل من البشارات ولله الحمد، فهو في الأخير دخل في دين الله وأخَذْنا عليه العهود والمواثيق، (..)

أحد الشباب يسأل الشيخ سؤال غير واضح

وقال أن له ساحر، والساحر يجلس في مكة وحوله مجموعة كبيرة من الجن.(...) .

الفهرس